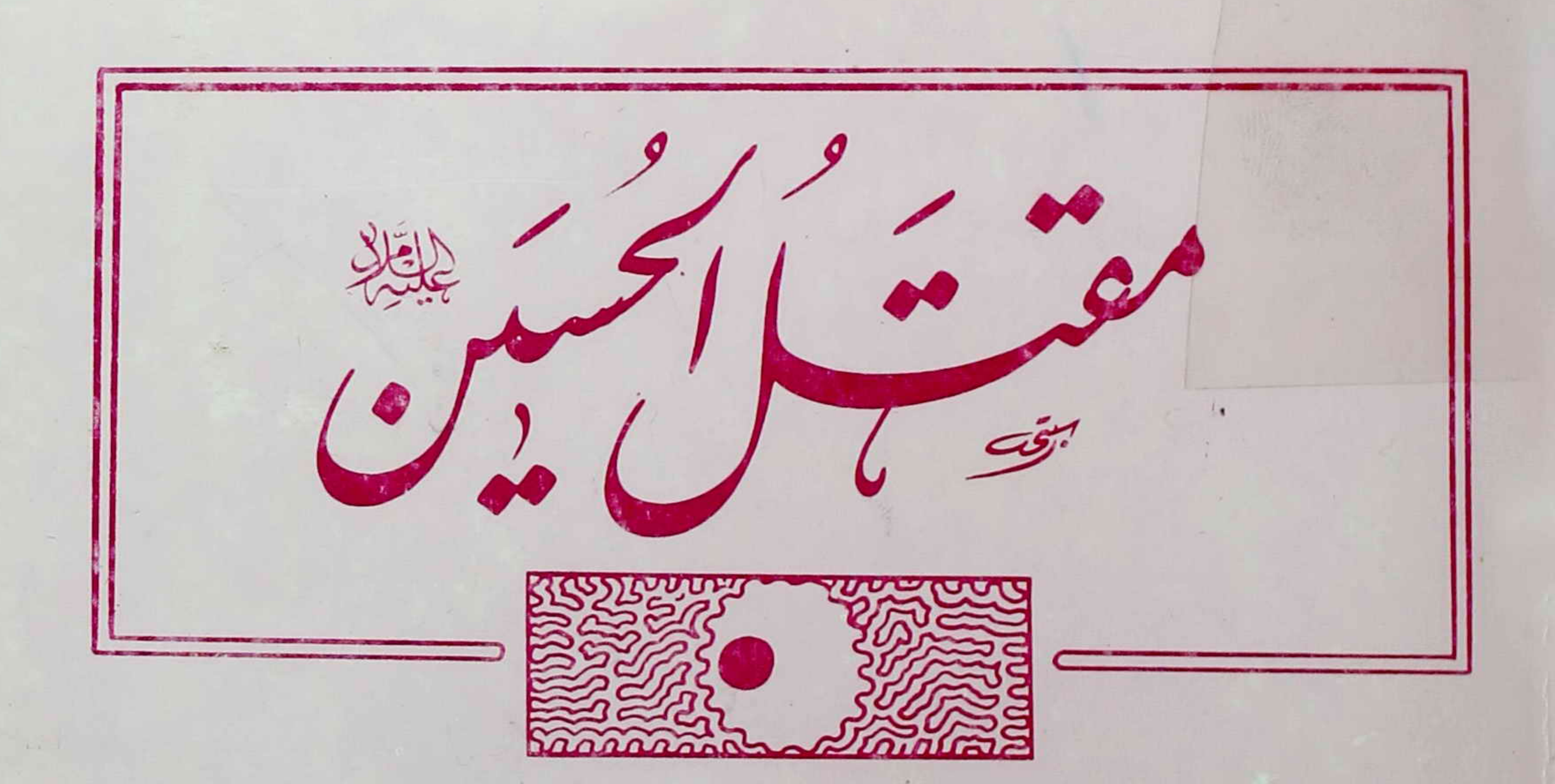
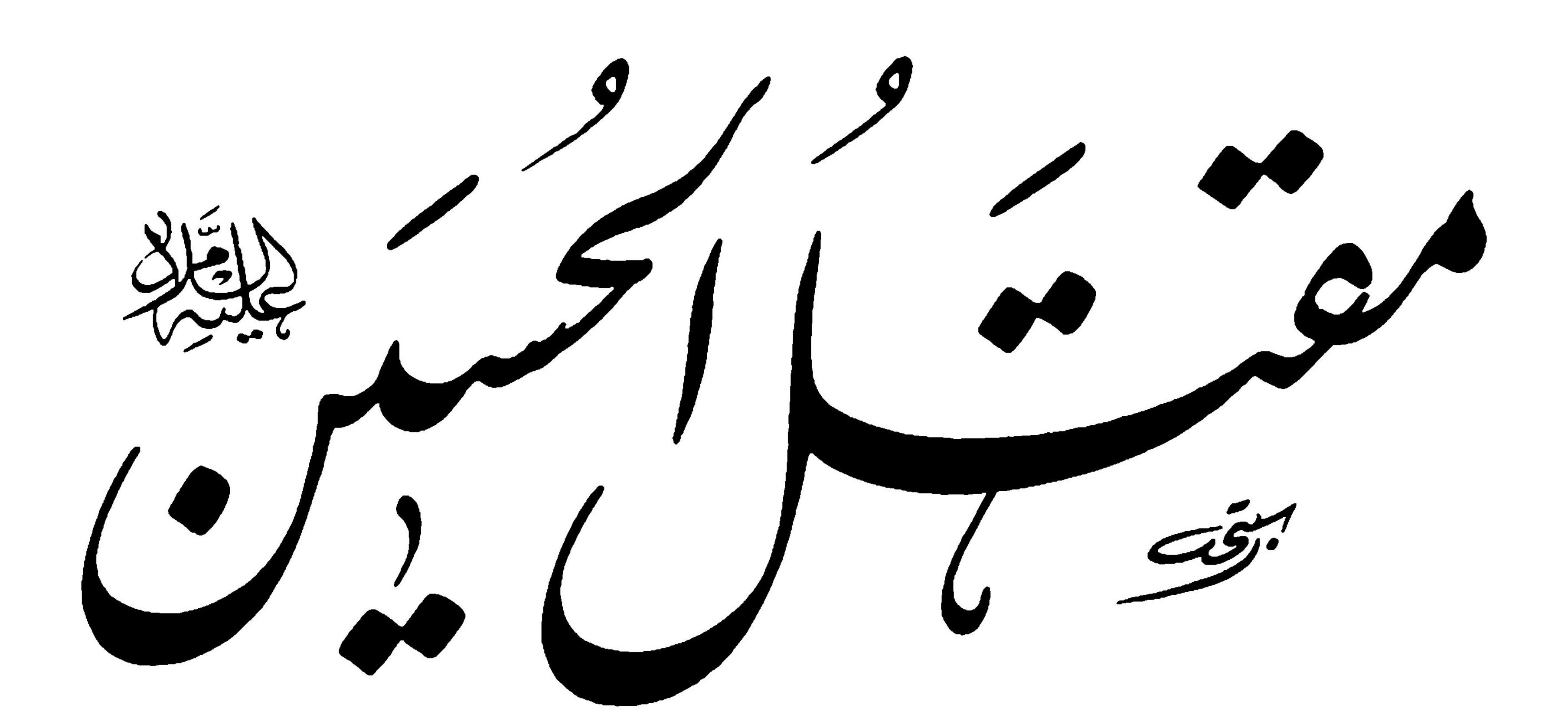


للإمام العلامة

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قدس سره

تحقيق

هادي الهلالي



للإمام العلامة

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قدس سره

تحقيق

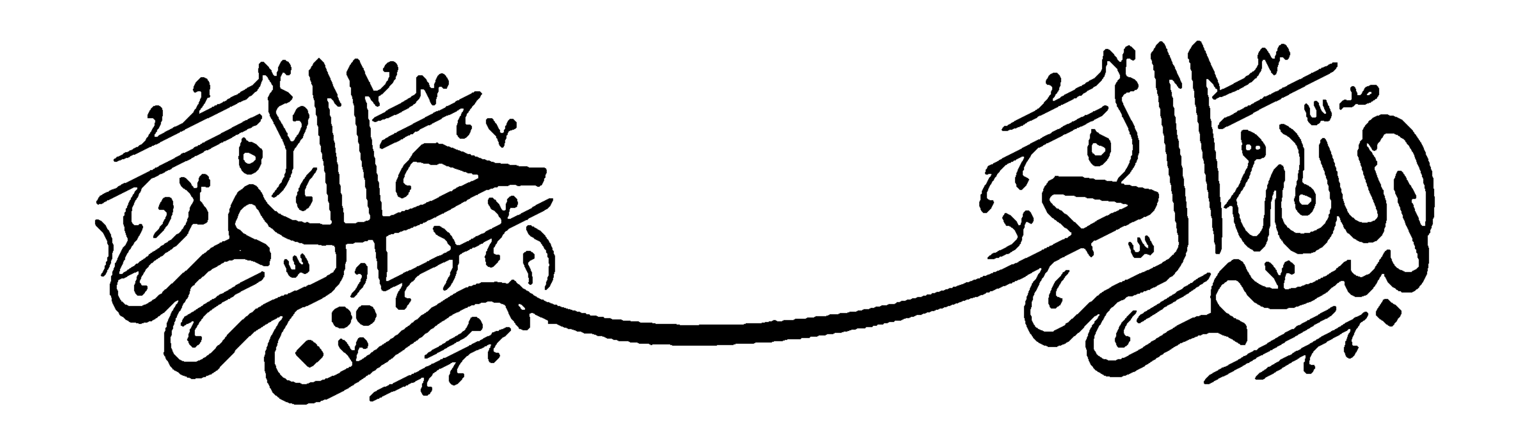
هادي الهلالي



هوية الكتاب

الكتاب	مقتل الحسين (ع)
المؤلّف	الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء (ره)
تحقيق	هادي الهلالي
الناشر	انتشارات الشريف الرضي
تنضيد الحروف	رؤيا / ٧٤٣٠٦٧
تعداد الصفحات	٨٨
عدد النسخ	١٠٠٠ نسخة
الطبعة	الأولى في ايران
المطبعة	أمير ـ قم
سنة الطبع	١٤١٩هـ. ق ـ ١٣٧٧هـ. ش
السعر	٢٥٠ تومان

شابک: ۷ـ۲۰ـ۶۴۶ـ۹۶۴
ISBN: 964-646-20-7



الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه وأشرف بريّته محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعاديهم ومخالفيهم أجمعين من الآن إلى يوم الدين.

أبا الشهـداء يـا مـن قـد تـربّى

بجـــجر (محـــمّد) نـلتَ المـرادا

فـــللحقِّ الصراح بـذلت نـفساً

زكت أصلاً وقـد طـابت مـهادا

ولمّـــا لم تجـــد إلّا المـــنايا

لمحـق الظـلم أرخـصتَ الفـؤادا

نبذة من حياة المؤلّف

«اسمه ونسبه»

هو الإمام الأكبر المبرّئ من كل شين الشيخ محمّدحسين ابن الشيخ علي ـ مؤلّف الحصون المنيعة في طبقات الشيعة ـ ابن الشيخ محمّد رضا ابن الشيخ موسى ابن الشيخ جعفر ـ مؤلّف كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرّاء ـ ابن الشيخ خضر بن يحيى بن مطر بن سيف الدين المالكي .

«أُسرته»

تعتبر أُسرة آل كاشف الغطاء التي ينتسب إليها من نحن بصدد الحديث عنه من أكبر وألمع الأُسر العلمية والأدبية في العراق ، بل في الشرق على الإطلاق .

قال المغفور له الشيخ جعفر محبوبة في ج٣ ، ص١٢٦ من كتابه « **ماضي النجف وحاضرها** » في حديثه عن هذه الأُسرة الشريفة ما نصّه:

« آل كاشف الغطاء من أُسر العلم ودوحة من دوحات الفضل . . . طبّقت شهرتها الآفاق وسار ذكرها وانتشر صيتها وعمّ فخرها . . . خدمت العلم والدين خدمات جليلة سجّلها لهم التاريخ بأقلام الإكبار والافتخار على صحائف ذهبية ناصعة ساطعة » .

وقد نبغ من هذه الأُسرة الكريمة والعائلة النبيلة التي استوطنت النجف الأقدس في أوائل القرن الثاني عشر عدد غير يسير من أكابر العلماء ومشاهير الفقهاء وأماثل الأُدباء بوسعك أن تقف على تراجم الكثير منهم روّح الله أرواحهم وقدّس أشباحهم في الكتاب آنف الذكر حيث ترجم مؤلّفه لأكثر من ٣٠ عالماً من علماء هذا البيت الرفيع .

«ولادته»

ولد (قدّس سرّه الشريف) في النجف الأشرف عام ١٢٩٤هـ وقد أرّخ عام ولادته الشاعر الماهر السيّد موسى الطالقاني بقوله:

سرورٌ به خصَّ أهلُ الغريِّ — فعمّ المغارب والمشرقين

بمولد من فيه تمّ الهنا — وقرّت برؤيته كلّ عين

وقد بشّر الشرع مذ أرّخوا — « ستثنى وسايده للحسين »

«نشأته وطلبه للعلم»

نشأ عطّر الله مرقده على أبيه المشهود له بغزارة العلم وسعة الاطّلاع وتوقّد الذهن ولطافة الطبع وأريحية الروح وصفاء الضمير .

يقول المرحوم الشيخ علي الخاقاني في ج٨ ، ص١٠٠ من كتابه الجليل « شعراء الغري » عن نشأته وطلبه الحثيث للعلم ما نصّه:

« نشأ على أبيه فقرأ مقدّمات العلوم من نحو وصرف ومنطق ومعاني وبيان وتوسّع في طلب العلوم فقرأ الكثير من العلوم التي ابتعد عن قرائتها كثير من أبناء

العرب كالهيئة والفلك والحساب والحكمة والكلام وتوغّل في دراسة الفقه والأُصول على أساتذة عصره كالإمام اليزدي والخراساني والفقيه ملّا رضا الهمداني والشيخ ميرزا محمّد تقي الشيرازي وفي العلوم الأُخرى على الميرزا محمّد باقر الاصطهباناتي والشيخ أحمد الشيرازي والشيخ محمّد رضا نجف‌آبادي وغيرهم من مشاهير العلماء المتخصّصين » .

ويواصل العلّامة الأديب الشيخ الخاقاني حديثه الممتع عنه (رضوان الله تعالى عليه) فيقول:

« وأخذ عنه العلم المئات من الشخصيات العلمية وتخرّج على حلقته التي استمرّت زهاء أربعين عاماً الكثير من رجال العلم الذين طلبوا العلم للعلم لا للمال والجاه » .

«مؤلّفاته»

له طيّب الله ثراه مؤلّفات كثيرة ومصنّفات وفيرة ، وهي على قسمين ، منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط ، **وإليك الآن بعضاً ممّا هو مطبوع**:

١ ـ حاشية على تبصرة العلّامة الحلّي .

٢ ـ حاشية على العروة الوثقى .

٣ ـ حاشية على سفينة النجاة لأخيه الشيخ أحمد .

٤ ـ حاشية على مجمع الرسائل .

٥ ـ وجيزة الأحكام .

٦ ـ زاد المتّقين .

٧ ـ مناسك الحجّ .

٨ ـ سؤال وجواب .

٩ ـ الدين والإسلام .

١٠ ـ المراجعات الريحانية .

١١ ـ أصل الشيعة وأُصولها .

١٢ ـ الفردوس الأعلى .

١٣ ـ المُثُل العليا في الإسلام لا في بحمدون .

١٤ ـ التوضيح في بيان ما هو المسيح .

١٥ ـ الآيات البيّنات .

١٦ ـ مقتل الحسين (ع). الكتاب الذي تلامسه أناملك ـ أخي القارئ الكريم ـ وهو كما يظهر لك من عنوانه يتحدّث على نحو الايجاز والاختصار عمّا تعرّض له سيّد الشهداء (ع) وأهل بيته النجباء وأصحابه السعداء (سلام الله عليهم) ما دامت الأرض والسماء، من مصائب جسام ورزايا عظام يشيب لها رأس كلّ رضيع، ويهون دونها كلّ رزء فضيع، باسلوبٍ مشرق وبيانٍ بديعٍ رائع.

وقد طبع هذا الكتاب الجليل لأوّل مرّة في النجف الأعلى قبل حوالي أكثر من أربعين عاماً، ولمّا لم يكن في طبعته تلك محقّقاً وخالياً من بعض الأخطاء والاشتباهات شأنه في ذلك شأن الكثير من الكتب التي لا تخلو ـ غالباً ـ من أخطاء وتحريف وتصحيف جاءك هذه المرّة على النقيض تماماً محقّقاً منقّحاً خالياً من الأخطاء، نقياً من كلّ ما يشينه.

١٧ ـ الخطب الأربع .

١٨ ـ الخطبة التاريخية .

١٩ ـ خطبة الاتّحاد والاقتصاد .

٢٠ ـ الأرض والتربة الحسينية .

وأمّا آثاره التي لم تطبع بعد أي أنّها لا تزال مخطوطة فكثيرة ، إليك طرفاً منها:

١ ـ شرح العروة الوثقى .

٢ ـ حاشية على مكاسب الشيخ الأنصاري .

٣ ـ حاشية على رسائل الشيخ الأنصاري .

٤ ـ حاشية على الكفاية .

٥ ـ حاشية على كتاب الأسفار لملّا صدرا الشيرازي .

٦ ـ الدروس الدينية .

٧ ـ الأخلاق والحِكم .

«شاعريّته»

يعتبر الإمام كاشف الغطاء عطّر الله تربته من اُولئك العلماء الكرام والفقهاء العظام الذين ما آمنوا قطّ بالمقولة التالية: « الشعر يكمل الناقص ، وينقص الكامل » بل اعتبرها على ما اعتقد كلاماً خاوياً فارغاً وآية ذلك أنّه راح ينظم الأشعار الرائقة والقصائد الجزلة والقطع الممتعة لا سيّما في اُمناء وحي الله عليهم أفضل الصلاه والسلام وخصّ منهم الشهيد المنتصر الحسين بن عليّ (ع) بالعديد من القصائد المطوّلة التي لا يزال بعضها يردّد في المحافل الحسينية المباركة ، وإليك مطالع بعضها:

١ ـ دع الدنيا فما دار الفناء ... بأهل للمودة والصفاء

٢ ـ لك الله من قلبٍ بأيدي الحوادث ... لَعِبن به الأشجان لعبت عابث

٣ ـ في القلب حرّ جواً ذاكِ توهّجه ... الدمع يطفيه والذكرى تؤجّجه

٤ ـ نفسي أذابتها اُسىً زفراتها ... فجرت بها محمّرة عباراتها

٥ ـ خذوا الماء من عيني والنار من قلبي ... ولا تحملوا للبرق منّاً ولا السحب

٦ ـ ما ذا يذمّ المرء من أخلاقها　　دنيا ذعاف السمّ درّ فواقها

٧ ـ بناء المجد في شرف المساعي　　وعز النفس في كرم الطباع

ومن شعره أعلى الله في الخلد مقامه قصيدة عنوانها « شعري وشعُوري وعواطفي ولطائفي » ، إليك مطلعها:

بني آدمٍ إنّا جميعاً بنو أبي　　لحفظ التآخي بيننا وبنو أمّ

وهي طويلة تزيد أبياتها على ٤٠ بيتاً بوسعك أن تقرأها بتمامها في ج٨ ، ص١٧٧ من« شعراء الغري » .

ومن شعره قوله حينما وقف على قبر الشاعر والفيلسوف الباكستاني إقبال في ٢٦ جمادى الأُولى عام ١٣٧١هـ:

يا عارفاً جلّ قدراً في معارفه　　حيّاك منّي إكبار وإجلالُ

إن كان جسمك في هذا الضريح ثوى　　فالروح منك لها في الخلد إقبال

تحيّة لك من خلّ أتاك على　　بعد المزار بقولٍ مثل ما قالوا

(لا خيل عندك تهديها ولا مال　　فليسعد النطق إن لم يسعد الحال)

«وفاته»

في الثامن عشر من شهر ذي القعدة من سنة ١٣٧٣هـ ، استأثرت بروحه الرحمة الإلهية في قرية من قرى كرمانشاه الايرانية يقال لها « كرند » ونقل جثمانه الطاهر إلى بغداد بعد أن حضر « كرند » ممثّلوا الحكومة العراقية ومنها إلى كربلاء ترافقه عشرات السيّارات ومنها إلى مسقط رأسه وملعب صباه النجف الأشرف حيث استقبل من قِبل النجفيّين أحسن استقبال ودفن في وادي السلام في قبره الذي أعدّه لنفسه قبل موته بمدّة مديدة ـ وبالمناسبة أتخطّر أنّني سمعت ممّن أثقُ بحديثه أنّ الإمام كاشف

الغطاء كان كثير الاختلاف والتردّد على قبره ، وكان إذا انتهى إليه اضطجع فيه وراح يردّد قول الله تعالى بصوت حزين: « ربِّ ارجعوني لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت » ـ ودموعه جارية وحسراته وارية .

أُقيمت على روحه الفاتحة من قِبل الأُسرة الكريمة في مسجدهم المعروف بمسجد آل كاشف الغطاء واستمرّت الفواتح إلى يوم الأربعين وأرّخ وفاته الشعراء وكان في طليعتهم الشاعر المعروف الشيخ علي البازي حيث قال:

محمّد الحسين مذ غاب عن ... مقامه وفاز بالحسنيين

الدين والإسلام والآي قد ... تصدّعت وانبجست كلّ عين

والكلّ في تاريخه (واله ... لله ما أعظم يوم الحسين)

وفي ختام هذه الكلمة المتواضعة والموجزة عن حجّة الإسلام وعلم الأعلام آية الله العظمى الشيخ محمّدحسين آل كاشف الغطاء رحمه الله أرى لزاماً عليَّ أن أتقدّم بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى الذي ما برح يتحف المكتبتين العربية والإسلامية بكتب نافعة مفيدة سليل الأكارم الأُستاذ محمّد صادق الكتبي حفظه الله على تصدّيه لطبع هذا الكتاب الصغير في حجمه الكبير في نفعه وفائدته ، ونشره بين الملأ ، ومن الحقّ سبحانه وتعالى أسأل أن يوفّقه لما فيه خير الدارين الحاضرة والآخرة وأن يثيبني على هذا الجهد المتواضع إنّه سميع مجيب .

٢٩ / شعبان / ١٤١٩هـ

قم المقدّسة

هادي الهلالي

مقتل سيّد الشهداء عليه السلام

عن الإمام العسكري عليه السلام في (تفسيره) المشهور: أنّ الحسين عليه السلام قال لعسكره ليلة العاشر: أنتم في حلّ من بيعتي، فالحقوا بعشائركم ومواليكم، وقد أبحت لكم مفارقتي، فأنتم لا تطيقونهم لتضاعف أعدادهم وقِواهم، وما المقصود غيري فدعوني والقوم، فإنّ الله يعينني ولا يخليني من حسن نظره كعادته في أسلافنا الطيّبين[1].

قال الإمام عليه السلام: فأمّا عسكره ففارقوه، وأمّا أهله الأدنون من أقربائه وخاصّته فأبوا ولازموه، فقال عليه السلام لهم:

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري (ع): ص٢١٨.

فإن كنتم وطّنتم أنفسكم على ما وطّنت عليه نفسي ، فاعلموا أنّ الله تعالى إنّما يهب المنازل الشريفة لعباده باحتمال المكاره .

وأنّ الله تعالى إن كان قد خصّني مع من مضى من أهلي الذين أنا آخرهم بقاءاً في الدنيا من الكرامات بهما يسهل عليّ معها احتمال المكاره فإنّ لكم شطر ذلك من كرامات الله ، واعلموا أنّ الدنيا مرّها وحلوها حلم ، والانتباه في الآخرة ، والفائز من فاز فيها ، والشقي من شقي فيها [(١)] .

ليلة العاشر من المحرم

قال السيّد (رضوان الله عليه) [(٢)] : وبات الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة ولهم دويٌّ كدوي النحل ، ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد ، فعبر عليهم في تلك الليلة من معسكر ابن سعد اثنان وثلاثون رجلاً [(٣)] .

---

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري (ع) : ص ٢١٩ .

(٢) (٣) الملهوف على قتلى الطفوف : ص ١٥٤ .

يوم العاشر من المحرم

ثمّ لمّا انشق أديم الليل عن صبحه كان مؤذّن الحسين عليه السلام الحجّاج بن مسروق الجعفي[1]، ولكنّه عليه السلام قال لولده عليّ الأكبر عليه السلام:

يا بني، قم أنت في هذا اليوم، فأذَّن ثمّ تيمّم هو وأصحابه (سلام الله عليهم)، فأدّوا السنّة وأقاموا الفرض جماعة.

لمّا سلّم قال عليه السلام:

أنت ثقتي في كلّ كرب، ورجائي في كلّ شدّة... إلى آخره[2].

وقبل أن يتمّوا تعقيبهم ارتفعت أصوات الطبول والمزامير من عسكر أهل الكوفة، وأقبلوا إلى ناحية معسكر الحسين عليه السلام يجولون عدّة زرافات ووحداناً رجّالة وفرساناً.

---

(١) له (رضوان الله عليه) ترجمة وافية في ص٩٨ وما بعدها من كتاب «إبصار العين في أنصار الحسين» للشيخ السماوي.

(٢) إليك تتمّة قوله (ع): «... وأنت لي في كلّ أمرٍ نزل بي ثقة وعدّة، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدوّ، أنزلته بك وشكوته إليك رغبةً مني إليك عمّا سواك، فكشفته وفرّجته فأنت ولي كلّ نعمة ومنتهى كلّ رغبة».

تعبئة الحسين عليه السلام لأصحابه

فقام سيّد أهل الإبى وخامس أصحاب العبا، فعبّأ أصحابه وانتظمت الصفوف من الجانبين ميمنة وميسرة.

عدد أصحاب الإمام عليه السلام

وقد اختلف[1] في عدد أصحابه (سلام الله عليه)، بين مكثر مفرط ومقلّ مفرط، فأكثر ما قيل فيهم ما ذكره المسعودي في «مروجه»:

أنّهم ألف فارس، ومائة راجل[2]، وأقلّ ما قيل: إنّهم

---

(١) نعم، اختلفت أقوال المؤرّخين والمحدّثين وأصحاب السير في عدد أصحاب مولانا الحسين (عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام) اختلافاً كثيراً، وهنا أودّ أن أحيلك -أخي القارئ- على ما كتبه في هذا الخصوص كلّ من الفاضلين الجليلين السيّد حسين بحرالعلوم في حاشية الصفحة ٣٦٦ من كتاب والده آية الله السيّد محمّدتقي بحر العلوم الموسوم بـ«مقتل الحسين» أو «واقعة الطف»، والشيخ باقر القرشي في ج٣، ص١٢٥ من كتابه «حياة الإمام الحسين (ع)»، فراجع.

(٢) **أقول**: لم يذكر المسعودي في «مروجه» ما ذكره الشيخ هنا من أنّهم ألف فارس ومائة راجل، بل الذي ذكره هو ما يلي: «ثمّ سار -أي الحسين (ع)- حتى لقي خيل عبيدالله بن زياد عليها عمر بن سعد بن أبي وقّاص فعدل إلى كربلاء وهو -أي الحسين- في مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه ونحو مائة راجل» -انظر: مروج الذهب ج٣، ص٧٥.

لا يزيدون عن اثنين وسبعين[1].

ولكن ورد النصّ المعتبر عن الباقر (سلام الله عليه) برواية السيّد رحمه الله[2]: أنّهم مائة راجل وخمسة وأربعون فارساً.

كما أنّ عدد أصحاب ابن سعد (لعنه الله) ـ على رواية الصادق عليه السلام ـ ثلاثون ألفاً[3]، وقيل: سبعون ألفاً[4].

---

(١) كما عليه الشيخ المفيد في ج٢، ص٩٥ من كتابه «الإرشاد».

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ص١٥٨.

(٣) إليك نصّ الرواية كما في ص٢٠١ من «مقتل الحسين» للعلّامة السيّد عبدالرزاق المقرّم:

روى أبو عبدالله الصادق (ع):

«إنّ الحسين دخل على أخيه الحسن في مرضه الذي استشهد فيه فلمّا رأى ما به بكى فقال له الحسن: ما يبكيك يا أبا عبدالله؟

قال: أبكي لما صنع بك.

فقال الحسن (ع): إنّ الذي أُوتي إليَّ سمّ أُقتل به ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبدالله وقد ازدلف إليك ثلاثون ألفاً يدّعون أنّهم من أُمّة جدّنا محمّد وينتحلون دين الإسلام فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك فعندها تحلّ ببني أُميّة اللعنة وتمطر السماء رماداً ودماً ويبكي عليك كلّ شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار».

(٤) يذكّرني هذا الرقم وهو «سبعون» ألفاً بأبيات رائعة للمغفور له السيّد باقر الهندي (رحمه الله) أحببت إيرادها هنا وهي:

لو لم تكن جمعت كلّ العلى فينا ... لكان ما كان يوم الطفّ يكفينا

يوم نهضنا كالأمثال الأسود به ... وأقبلت كالدبى زحفاً أعادينا

جاءوا بسبعين ألفاً سل بقيتهم ... هل قابلونا وقد جئنا بسبعينا

أمر الإمام عليه السلام بحفر الخندق

وكان الإمام عليه السلام أمر أن يحفر تلك الليلة خندق وراء الخيام ويلقى فيه الحطب والقصب، وتشعل فيه النار؛ كي لا يبقى للعدو مجال للاقتحام من وراء الخيام ويكون القتال من وجه واحد[1]، ولا يكون سبيل للهجوم على حرم الرسالة، فإنّ أنصار الله صفّوا صفوفهم أمام البيوت المطهّرة.

وأقبل عسكر ابن سعد ليستديروا على معسكر الحسين عليه السلام ويحيطوا بهم، فلمّا رأوا النار تضطرم نادى شمر[2] (لعنه الله):

يا حسين، تعجّلت بالنار قبل يوم القيامة.

فقال عليه السلام: يابن راعية المعزى، أنت أولى بها منّي صِليّا.

---

(١) تاريخ الطبري ج٤، ص٣٢٠.

(٢) هو الخبيث الدنس شمر بن ذي الجوشن (لعنه الله).

أقول: ذكر الشيخ عبّاس القمّي في باب الشين بعده الميم ج٤، ص٤٩٢ من كتابه «**سفينة البحار**» نقلاً عن كتاب «**مثالب العرب**» لهشام بن الكلبي إنّ امرأة ذي الجوشن خرجت من جبّانة السبيع إلى جبّانة كندة فعطشت في الطريق ولاقت راعياً يرعى الغنم فطلبت منه الماء فأبى أن يعطيها إلّا بالإصابة منها، فمكّنته فواقعها الراعي فحملت بشمر.

وأخذ مسلم بن عوسجة سهماً ليرميه، فقال له الحسين عليه السلام: لا ترمه فإنّي أكره أن أبدأهم بقتال[1].

معجزة وكرامة للإمام الحسين عليه السلام

ونادى ابن أبي جويرية المزني: يا حسين، أبشروا بالنار، فقد تعجّلتموها في الدنيا.

فقال الحسين عليه السلام: اللّهمّ أذقه عذاب النار في الدنيا، فما مضى غير خطوات حتى حرنت به فرسه ثمّ نزت به وألقته من فوق ظهرها، وبقيت إحدى رجليه في الركاب، والأُخرى مرفوعة. ومرّ الفرس يضرب برأسه الأرض حتى ألقته في الخندق والنار تضطرم فيه[2].

فكبّر عسكر الحسين عليه السلام ونادوا: يا لها من دعوة ما أسرع إجابتها فلتهنك الإجابة يابن رسول الله.

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ج٢، ص٩٦.

(٢) روضة الواعظين ج١، ص١٨٥.

قال مروان بن وائل: كنت في عسكر عمر بن سعد، فلمّا رأيت ذلك رجعت ناكصاً عن الحرب.

فقال لي ابن سعد: ما لك تركت القتال؟

قلت: رأيت من أهل هذا البيت ما لم تره عين، ووالله ما أنا بمقاتل أحدٍ منهم أبداً[1].

كرامة أُخرى للحسين عليه السلام

قال تميم بن حصين الفزاري: يا حسين ويا أصحاب الحسين، أما ترون ماء الفرات يلوح كبطون الحيّات؟ فوالله لا ذقتم منه قطرة، حتى تذوقوا الموت جرعاً.

فقال الحسين عليه السلام: اللّهمّ اقتل هذا عطشاً في هذا اليوم.

فاشتدّ به العطش من ساعته وذهب ليشرب فألقته الفرس تحت حوافر الخيل حتى هلك (لعنه الله)[2].

---

(١) الكامل في التاريخ ج٤، ص٢٧.

(٢) نفس المهموم: ص٣٥٥.

كرامة أُخرى للحسين عليه السلام

وقال له محمّد بن الأشعث الكندي (لعنه الله):

يا حسين بن فاطمة، أي حرمة لك من رسول الله ليست لغيرك؟

فتلى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1]. وإنّ محمّداً لمن آل إبراهيم، والعترة الهادية من آل محمّد.

ثمّ قال عليه السلام: من السائل؟ فقيل له: ابن الأشعث.

فرفع يديه، وقال: اللّهمّ أذلّ محمّد بن الأشعث في هذا اليوم ذلّاً لا تعزّه بعده.

فذهب ليبول فسلّط الله عليه عقرباً فلسعته في دبره، فولّى يصيح وهو مكشوف العورة بين الجموع[2].

ولم تزل أمثال تلك الآيات الباهرات منه (صلوات الله عليه)

---

(١) سورة آل عمران / ٣٣.

(٢) روضة الواعظين ج١، ص١٨٥.

في ذلك اليوم تترى وتشع كرامة وفخراً.

ولكن قد حقّت عليهم كلمة العذاب، فلم ينتفعوا بعظة بالغة ولا بمعجزة دامغة.

نصيحة الحسين عليه السلام وخطبته الأُولى

ثمّ أنّ الحسين عليه السلام: بعد التئام الصفوف وجلّهم سامعون وقوف. ركب راحلته واستنصتهم فأنصتوا له، فنادى بأعلى صوته: يا أهل العراق، اسمعوا قولي ولا تعجلوا، حتى أعظكم بما يحقّ لكم عليّ، وحتى أعتذر فيكم، فإن أعطيتموني النَصَفَ من أنفسكم، وإلّا فاجمعوا أمركم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة ثمّ اقضوا إليَّ ولا تنظرون، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[1].

ثمّ قال: أمّا بعد فانسبوني وانظروا من أنا، ثمّ راجعوا أنفسكم وعاتبوها، وانظروا هل يصلح لكم قتلي، وانتهاك

---

(١) سورة الأعراف / ١٩٦.

حرمتي ؟ ألست ابن بنت نبيّكم، وابن وصيّه وابن عمّه، وأوّل مصدِّق به ؟ أوَليس حمزة سيّد الشهداء عمّي ؟ أوَليس جعفر الطيّار في الجنّة بجناحين عمّي ؟ أوَلم يبلغكم قول رسول الله ﷺ لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة، فإن صدّقتموني فيما أقول وهو الحقّ، والله ما تعمّدت الكذب منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، وإن كذّبتموني فإنّ فيكم مَن إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبدالله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يخبروكم أنّهم سمعوا تلك المقالة من رسول الله لي ولأخي.

أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي، ثمّ قال: فإن كنتم تشكّون في ذلك، أفتشكّون أنّي ابن بنت نبيّكم ؟ والله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم، ولا في غيركم. ويحكم، أتطلبوني بقتيل منكم قتلته ؟ أو بمال استهلكته ؟ أو بقصاص جراحة ؟ فأخذوا لا يكلّمونه.

فنادى: يا شبث بن ربعي، ويا حجّار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليَّ أن اقدم، فقد أينعت الثمار، واخضرّ الجناب، وإنّما تقدم على جند لك مجنّدة؟

فقال ابن الأشعث: ما ندري ما تقول، ولكن انزل على حكم بني عمّك فإنّهم لم يروك إلّا ما تحبّ.

فقال له الحسين عليه السلام: لا والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرُّ إقرار العبيد. ثمّ إنّه عليه السلام أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان أن يعقلها فعقلها[1].

وذكر العلّامة التستري[2] (قدّس الله روحه): إنّ تلك الناقة

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤، ص٣٢٣.

وقام لسان الله يخطب واعظاً ... فصمّوا لما عن قدس أنواره عموا

وقال انسبوني من أنا اليوم وانظروا ... حلال لكم منّي دمي أو محرّم

فما وجدوا إلّا السهام بنحره ... تراش جواباً والعوالي تقوم

ومذ أيقن السبط انمحى دين جدّه ... ولم يبقى بين الناس في الأرض مسلم

فدا نفسه في نصرة الدين خائضاً ... عن المسلمين الغامرات ليسلموا

وقال خذيني يا حتوف وهاك يا ... سيوف فأوصالي لك اليوم مغنم

(٢) في ص٩٢ من كتابه «الخصائص الحسينية».

بقيت معقولة حتى قتل الحسين عليه السلام، فلم تزل تضرب برأسها الأرض حتى ماتت!!

وابن سمعان هذا هو الذي نقل عنه ابن الأثير[1] أنّه قال: كنت ملازماً لخدمة الحسين عليه السلام من حين خروجه من المدينة إلى مكّة، ومن مكّة إلى الكوفة، ولم أُفارقه إلى حين شهادته، وسمعت جميع محاوراته وكلماته وكتبه، فوالذي نفسي بيده أنّي لم أسمع منه قطّ أنّه قال لأهل الكوفة:

أضع يدي في يد يزيد، أو امضي إلى ثغر من ثغور المسلمين.

نعم، كان يقول: حتى أرجع إلى المكان الذي جئت منه، أو أمضي في أرض الله الواسعة، حتى أرى ما يكون من أمر الناس. وهم لم يجيبوه إلى شيء من الأمرين.

ثمّ إنّه عليه السلام دعى فرس رسول الله صلى الله عليه وآله (المرتجز) وركبها وتوجّه نحو عسكر ابن سعد، وبين يديه جماعة من أصحابه،

---

(١) في ج ٤، ص ٥٤ من كتابه «الكامل في التاريخ».

وفيهم برير بن خضير.

نصيحة برير لعسكر ابن سعد

فلمّا قربوا منهم ناداهم برير: يا قوم، اتّقوا الله فإنّ ثقل محمّد ﷺ أصبح بين أظهركم، هؤلاء ذرّيّته وعترته وحرمه، فهاتوا ما عندكم وما تريدون أن تصنعوا بهم.

فقالوا: نريد أن نأتي بهم الأمير عبيدالله بن زياد.

قال لهم: أفلا تقبلون أن يرجعوا إلى المكان الذي جاؤوا منه، ويلكم يا أهل الكوفة أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها، وأشهدتم الله عليها، ويلكم يا أهل الكوفة دعوتم أهل بيت نبيّكم، وزعمتم أنّكم تقتلون أنفسكم دونهم! حتى إذا أتوكم أسلمتموهم إلى ابن زياد، ومنعتموهم عن ماء الفرات! بئس ما خلفتم نبيّكم في عترته، ما لكم لا سقاكم الله يوم القيامة، فبئس القوم أنتم.

فقالوا: أكفف يا برير فما ندري ما تقول؟!!

فقال: الحمد لله الذي زادني بصيرة فيكم، اللّهمّ إنّي أبرأ

إليك من أفعال هؤلاء القوم، اللّهمّ ألقِ بأسهم بينهم، حتى يلقوك وأنت عليهم غضبان[1].

خطبة الحسين عليه السلام الثانية

ثمّ دنى الحسين عليه السلام، وخطب خطبته الثانية التي يقول في أوّلها: أنشدكم الله، هل تعرفونني من أنا؟

قالوا: نعم، أنت ابن بنت رسول الله وسبطه، إلى آخرها.

وكان آخر جوابهم في هذه الخطبة: وقد علمنا كلّ ذلك، ونحن غير تاركيك أبا عبدالله حتى تذوق الموت عطشاً، فلمّا سمع ذلك، دمعت عيناه وضرب على لحيته المقدّسة، وقال: اشتدّ غضب الله على اليهود، حين قالوا: عزير ابن الله، وعلى النصارى؛ إذ قالوا: المسيح ابن الله، وعلى المجوس؛ إذ عبدوا النار دونه، واشتدّ غضبه على هذه العصابة التي قد اجتمعت على قتل ابن بنت نبيّهم، أما والله لا أُجيبهم إلى شيء ممّا

---

(١) بحار الأنوار ج٤٥، ص٥.

يريدون حتى ألق الله مخضّباً بدمي[1].

فلمّا آيس الحسين عليه السلام من نزوعهم عن بغيهم، ورجوعهم عن غيّهم. وطّن نفسه على الشهادة، والفوز بتلك السعادة، فأراد أن يعزّي نسائه وأهل بيته قبل موته.

قالت زينب (سلام الله عليها):

لمّا رجع الحسين عليه السلام من محاورته مع القوم، جاء فدخل خيمتي، وكنت خلف الخيمة، فنادى: أين زينب؟ فقلت: لبّيك، فقال: أحضري رقية وأُمّ كلثوم وصفيّة وسكينة وفاطمة وباقي بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا حضرن قلنا: فديناك ما حاجتك؟

قال: حاجتي أن أُوصيكنّ إذا أنا قتلت فلا تشققن عليَّ جيباً، ولا تلطمن عليَّ خدّاً، ولا تخمشن عليَّ وجهاً[2].

فقالت زينب: يا أخي، هذا كلام من أيقن بالموت.

(١) نفس المهموم: ص ٢٥٠.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ص ١٤١.

فقال لها: نعم يا أُختاه.

فصاحت: وا ثكلاه، وا محمّداه، وا عليّاه، وا ضعفاه، وا غربتاه، وا قلّة ناصراه.

فقال لها الحسين عليه السلام: يا أُختاه تعزّي بعزاء الله، فإنّ أهل الأرض يموتون، وسكان السماء لا يبقون، ولا يبقى إلّا وجهه فلا يذهبنّ بحلمك الشيطان.

فقالت: جعلت فداك ردّنا إلى حرم جدّنا، فاختنق (صلوات الله عليه) بعبرته وقال: هيهات لو ترك القطا لغفى ونام[1].

ثمّ رجع الحسين عليه السلام إلى الميدان، فنظر إلى تلك الصحراء وقد غصّت بجنود الشيطان، كأنّها السحاب المتراكم وقد أظلم الجو، وانسدت الأقطار بالغبار[2].

---

(١) وتمثّل (ع) بقول الشاعر:

ولو كان القطاة بأرض نجدٍ ... قرير العين لن تجد الغراما
تولّته البزاة فهيّمته ... ولو ترك القطا لغفا وناما

(٢) ملؤ القفار على ابن فاطمةٍ ... جندٌ وملؤ قلوبهم ذحل
بجحافلٍ بالطفّ أوّلها ... وأخيرها بالشام متّصل

نصيحة زهير بن القين للقوم

فتقدّم الإمام عليه السلام وزهير بن القين أمامه، فنادى: أيّها الناس، إنّ من حقّ المسلم على المسلم النصيحة، ونحن وأنتم على دين واحد، وقد ابتلانا الله بذرّيّة نبيّنا، لينظر ما نحن وأنتم صانعون؟ وأنا أدعوكم إلى نصرة وخذلان الطغاة.

فقالوا: نحن لا ندع صاحبك وأتباعه حتى يكونوا عرضة للسيوف، أو يبايعوا يزيد وابن زياد.

فقال ويحكم إنّ الحسين عليه السلام أولى بالنصرة والمودّة من ابن هند أو ابن سميّة، فإن كنتم غير ناصريه ولا مؤدّين حقّ الله فيه، فلا تعينوا على قتله.

فأخذ الشمر سهماً ورماه وقال: قد أكثرت يا زهير في كلامك فاكفف.

خطبة الحسين عليه السلام الثالثة

ثمّ تقدّم الحسين عليه السلام وخطب خطبته الثالثة، فقال:

الحمد لله الذي خلق الدنيا، فجعلها دار فناء وزوال، متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرّته، والشقي من فتنته، فلا تغرّنكم هذه الدنيا، فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيّب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنّبكم رحمته، فنِعمَ الربّ ربّنا، وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول، ثمّ زحفتم إلى ذرّيته وعترته، تريدون قتلهم، قد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذِكر الله العظيم، فتبّاً لكم ولما تريدون، إنّا لله وإنّا إليه راجعون. هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين.

فخشي ابن سعد أن تقع الفتنة في عسكره، وترجع إلى الحقّ زعمائهم، فقطع على الحسين عليه السلام كلامه، وقال لهم: هذا ابن أبي طالب أُقسم بالله لو وقف فيكم سحابة يومه خطيباً ما كلّ ولا انقطع.

فتقدّم شمر (لعنه الله) وقال: ما تقول يا حسين؟ أفهمنا ما تريد؟ فقال عليه السلام: أقول: اتّقوا الله ربّكم ولا تقتلوني، فإنّه لا يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي، وأنا ابن بنت نبيّكم.

وكان (سلام الله عليه) في جميع خطبه يتدرّج في اللين والشدّة من درجة إلى أُخرى، ومن مرتبة إلى أشدّ منها، وكلّ غرضه إتمام الحجّة وقطع المعذرة، وسوق من سبقت له العناية إلى جانبه.

ولمّا رأى ابن سعد أنّ كلماته وخطبه عليه السلام كادت أن تلين لها الصخور، نادى بعسكره فأحاطوا بالإمام عليه السلام وجعلوه في مثل الدائرة، وأحدقت به الخيل والأعنّة، وأُشرعت نحوه السيوف والأسنّة، وأرادوا أن يناجزوه القتال، فقال لهم: ويلكم ما عليكم أن تنصتوا إليَّ وتسمعوا قولي، وإنّما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من الفائزين، ومن عصاني كان من الهالكين، فتلاوم العسكر ما بينهم، وقال بعضهم لبعض: ما عليكم لو سمعتم ما يقول.

خطبة الحسين عليه السلام الرابعة

فخطب (سلام الله عليه) خطبته الرابعة في ذلك اليوم، وهي أشدّ خطبة في تقريعهم، وبيان عذرهم ونفاقهم وكفرهم ومكرهم، التي يقول في أوّلها:

تبّاً لكم أيّتها الجماعة وترحاً، أحين استصرختمونا والهين، فأصرخناكم موجفين[1]، سللتم علينا سيوفاً كانت لنا في أيمانكم، وحششتم[2] علينا ناراً اقتدحناها على عدوّنا وعدوّكم، فأصبحتم ألبّاً[3] لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم.

إلى أن قال: فسحقاً لكم يا عبيد الأُمّة وشذّاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرّفي الكلم، وعصبة الآثام، ونفثة الشيطان، ومطفي السنن.

---

(١) موجفين: أي مسرعين في السير إليكم.

(٢) حششتم ناراً: أوقدتموها.

(٣) الإلب ـ بالكسر ـ: القوم تجمعهم عداوة واحدة.

دعاء الحسين عليه السلام على عسكر ابن سعد

ثمّ ختم خطبته هذه بالدعاء عليهم، فقال: اللّهمّ احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سني كسني يوسف، وسلّط عليهم غلام ثقيف[1] يسقيهم كأساً مصبّرة، فإنّهم كذّبونا وخذلونا، وأنت ربّنا عليك توكّلنا وإليك أنبنا وإليك المصير[2].

وقوفه عليه السلام مع ابن سعد

ثمّ دعى بعمر بن سعد[3] (لعنه الله)، فجاءه على كراهة منه

---

(١) يريد (ع) بـ «غلام ثقيف» المختار بن عبيدة الثقفي.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج٢، ص٨.

(٣) ابن أبي وقّاص الزهري ممّن أترعت نفوسهم بالحقد على النبيّ وأهل بيته الأطياب (عليه وعليهم صلوات العزيز الوهّاب). كان قائداً أعلى للقوات المسلّحة التي زحفت لقتال سبط الرحمة وفطيم النبوّة وربيب العصمة الحسين بن علي (ع) عام ٦١هـ.

أخبر الرسول الأعظم عن سوء عاقبته مراراً فقد روى الرواة أنّه اجتاز يوماً على رسول الله فلمّا رآه نفر منه وقال: «يكون مع قوم يلحسون الدنيا بألسنتهم كما تلحس الأرض البقرة بلسانها».

قُتِل (لعنه الله) عام ٦٦هـ، قتله أبو عمرة ـ وهو من أعوان المختار الأشدّاء ـ على فراشه وبذلك يكون قد خسر الدارين الحاضرة والآخرة.

فقال: يا عمر، أنت تقتلني وتزعم أن يولّيك الدعي ابن الدعي بلاد الري وجرجان؟! والله لا تهنأ بذلك أبداً، عهداً معهوداً، فاصنع ما أنت صانع فإنّك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة وكأنّي برأسك على قصبة قد نصب في الكوفة، يتراماه الصبيان، فصرف اللعين وجهه الخبيث عنه، وقد امتلأ غيضاً وغضباً، ثمّ صاح بغلامه: يا دريد، ادن رايتك، فأدناها.

ثمّ وضع سهماً في كبد قوسه، ثمّ رمى وقال: اشهدوا لي عند الأمير أنّي أوّل من رمى. ثمّ أقبلت السهام من تلك الجموع كأنّها السيل[1].

قال العلّامة التستري[2] (أعلى الله مقامه):

قتل بهذه السهام التي انصبّت كالمطر ما يقرب النصف من عسكر الحسين عليه السلام الواقفين في الميمنة والميسرة. وكانت

(١) الملهوف على قتل الطفوف: ص١٥٨.

(٢) في ص١٠٥ من كتابه «مجالس الوعظ والعزاء».

كلّ الخطب المتقدّمة قبل الشروع في الحرب، للا للاعذار والانذار وإتمام الحجّة فقط، ولا تفادياً من الحرب وخوفاً من الموت وركوناً إلى حبّ الحياة ـ معاذ الله ـ، ولكنّه (سلام الله عليه) بما أنّه باب الوسيلة، ومفتاح خزائن الرحمة، وينبوع مجاري النجاة، لا جرم أنّ غرائز الحنان والرحمة كانت تدفعه إلى مدافعة ذلك الخلف التعوس عمّا حاولوه، وصمّموا عليه من قتله الذي فيه هلاكهم المؤبّد.

وغير بعيد أنّ أكثر تلك الرقّة والاستعبار والطلب والاصرار في أن يتركوه ولا يقتلوه كان إشفاقاً عليهم من ارتكاب تلك الجرائم الفظيعة التي ارتكب واحدة منها أشق أُمّة من الأُمم.

ولعلّ هذا هو السرّ أيضاً في تكرّر الاستغاثة وطلب الناصر والمعين، فإنّه ليس حرصاً في البقيا على نفسه المقدّسة، بل للبقيا عليهم وطلباً لنجاة بعضهم على الأقلّ بعد أن تعذّرت نجاة كلّهم.

الاستغاثة الأُولى للحسين عليه السلام

فأوّل استغاثة صدرت منه عندما رأى تصميم القوم على قتاله، وعدم انتفاعهم بتلك المواعظ والخطب، فلمّا أقبلت السهام منهم كقطع الغمام، وقُتل من أصحابه من قتل، نادى: أما من مغيث يغيثنا؟! أما من ذابّ يذبّ عنّا؟

التحاق الحرّ بعكسر الحسين عليه السلام

فأثّرت هذه الاستغاثة في ثلاثة نفر ممّن سبقت لهم العناية وأدركتهم السعادة، وهم الحرّ[1]، وولده عليّ، وأخوه مصعب[2].

فجاء الحرّ إلى ابن سعد وقال له: أمقاتل أنت هذا

---

(١) هو الحرّ بن يزيد بن ناجية بن قعنب ... التميمي اليربوعي الرياحي، من أشراف العرب وشجعانهم، كان من كبار القادة في جيش عمر بن سعد، غير أنّ العناية الإلهية أدركته صبيحة يوم عاشوراء فالتحق بمعسكر الحسين (ع) فجاهد بين يديه جهاد المخلصين حتى استشهد (رضوان الله عليه)، فمشى الحسين لمصرعه وأبّنه بعد وقوفه عليه بكلمته المعروفة: «أنت حرّ في الدنيا وسعيد في الآخرة».

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج٢، ص٩.

الرجل ؟ فـقـال : إي والله قـتـالاً أيـسـره أن تـطـير الرؤوس وتطيح الأيدي .

فقال : أما لكم فيما عرضه عليكم رأي ؟

فقال : لو كان الأمر إليَّ لفعلت ، ولكن أميرك قـد أبى . فمضى الحرّ ووقف ناحية وأخذه مثل الإفكل[1] . وهذه هي الإنابة إلى الله والهزّة الإلهية ، فقال له المهاجر بن أوس : والله إنّ أمرك لمريب . ولو قيل مـن أشـجع أهـل الكـوفة ؟ لمـا عدوتك ، فما هذا الذي أرى منك ؟ ! !

فقال : والله إنّي أُخيّر نفسي بين الجـنة والنـار ، والله لا أختار على الجنّة شيئاً ، ولو قطّعت وأُحرقت[2] ، ثمّ التفت إلى ولده علي ، وقال : يا بني ، لا صبر لي على النار فسر بنا إلى الحسين عليه السلام لننصره ، ونـقاتل بـين يـديه لعـلّ الله يـرزقنا الشهادة والسعادة التي لا انقطاع لها .

(١) الإفكل : هي الرعدة والرجفة الشديدة .

(٢) نفس المهموم للشيخ عباس القمّي : ص ٢٥٤ .

ثمّ ضرب فرسه وأقبل نحو عسكر الحسين عليه السلام واضعاً يده على رأسه وهو يقول:

اللّهمّ إليك أُنيب فَتُبْ عليَّ، فقد أرعبتُ قلوب أوليائك[1].

فلمّا قرب من الحسين عليه السلام، وقف قريباً منه مطأطئاً رأسه[2]، فقال عليه السلام: من أنت؟ ارفع رأسك، فرفع رأسه وقال: سيّدي أنا صاحبك الذي حبسك عن الرجوع، وجعجع بك في هذا المكان الموحش، وما ظننت أن القوم يبلغون بك ما أرى، وأنا تائب إلى الله، فهل ترى لي من توبة؟

فقال عليه السلام: نعم، يتوب الله عليك، انزل. فقال: أنا فارس خير لك منّي راجلاً[3]. ثمّ استقبل بوجهه عسكر ابن سعد وقال:

---

(١) الملهوف على قتل الطفوف لابن طاووس: ص١٦٠.

(٢) ولسان حاله يقول:

لن أبرح الباب حتى تصلحوا عوجي	وتقبلوني على عيبي ونقصاني
فإن رضيتم فيا عزّي ويا شرفي	وإن أبيتم فمن أرجو لغفراني

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد ج٢، ص١٠٠.

نصيحة الحرّ لعسكر ابن سعد

يا أهل الكوفة، لأُمّكم الهَبَل والعبر[1]، دعوتم هذا العبد الصالح حتى إذا جاءكم أسلمتموه وزعمتم أنّكم قاتلوا أنفسكم دونه ثمّ عدوتم عليه لتقتلوه، أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكلكله[2]، وأحطتم به من كلّ جانب، لتمنعوه التوجّه إلى بلاد الله العريضة فصار كالأسير في أيديكم، لا يملك لنفسه نفعاً، ولا يدفع عنها ضرّاً، وحلأتموه[3] ونسائه وصبيته عن ماء الفرات الجاري، تشربه اليهود والنصارى والمجوس وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه، وها هم قد صرعهم العطش فبئسما خلفتم محمّد في ذرّيّته، فلا سقاكم الله يوم الظمأ، فقطعوا كلامه برشق النبال ورمي النصال، فرجع ووقف أمام الحسين عليه السلام ينتظر الرخصة، وكانت الوجوه والقواد والأعيان من عسكر ابن سعد (لعنه الله) متثاقلين عن

---

(١) الهبل ـ بالتحريك ـ: الثكل والفَقد. والعبر ـ بالتحريك ـ: سخنة العين وبكاؤها وجريان الدمع.

(٢) الكلكل: الصدر أو ما بين الترقوتين.

(٣) حلأهُ عن الماء: طرده ولم يدعه يشرب.

المبارزة، لأنّهم أجمع ممّن كتب إلى الحسين عليه السلام، وألحّ عليه بالتوجّه وإعطاء البيعة، لذا بقي الحال برهة من النهار على المصاف، والترامي بالنبال دون المكافحة والنزال.

بدء القتال بين العسكرين

ولكن أوّل من تقدّم من عسكر ابن سعد يسار غلام زياد فطلب المبارزة، فتقدّم إليه عبدالله بن عمير الكلبي[١]، فسأله يسار عن نسبه، فانتسب له، فقال له يسار: لا أعرفك ارجع وليبرز زهير بن القين[٢] أو حبيب بن مظاهر[٣]، فإنّ

(١) كان (رضوان الله عليه) بطلاً شجاعاً شريفاً مخلصاً لإمام زمانه وحجّة عصره الحسين بن علي(ع) محبّاً له متفانياً في سبيله ـ انظر ترجمته في «ابصار العين في أنصار الحسين»: ص١٠٦.

(٢) ابن قيس الأنماري البجلي وصفه العلّامة السماوي في «إبصار العين ...»: ص٩٥: بقوله: «كان زهير رجلاً شريفاً في قومه، نازلاً بهم في الكوفة، شجاعاً له في المغازي مواقف مشهورة ...».

(٣) من عيون أصحاب مولى الموحّدين الإمام أمير المؤمنين(ع)، ومن حملة علومه، وقد شهد حروبه كلّها «الجمل» و «صفّين» و «النهروان».

كان عليه الرحمة والرضوان شيخ الأنصار وعميدهم، وموضع ثقة الحسين واعتزازه.. انظر ترجمته في إبصار العين: ص٦١.

هؤلاء أقراني لا أنت، فقال له عبدالله: يابن الفاعلة أوَبك رغبة عن مبارزتي؟ ثمّ شدّ عليه فضربه بسيفه حتى بدره وانّه لمشتغل بضربه شدّ عليه سالم مولى عبيدالله، فصاحوا به قد رهقك، فلم يشعر به حتى بدره بضربة اتّقاها ابن عمير بكفّه اليسرى فأطارت أصابعه، ثمّ شدّ عليه حتى قتله، وأقبل ابن عمير وقد قتلهما وهو يرتجز ويقول: إن تنكروني فأنا ابن الكلبي[1].

وعندما أتى الحرّ إلى الحسين عليه السلام وقال: يابن رسول الله، إنّي حين خرجت من الكوفة مع عسكر هذا الطاغي سمعت منادياً ينادي من خلفي: أبشر يا حرّ بخير، فالتفتُّ فلم أرَ أحداً، فقلت: والله ما هي ببشارة، أخرج إلى حرب ابن رسول الله وأُبشّر بخير. والآن علمت صواب ذلك القول.

---

(١) إليك أخي القارئ نصّ رجزه (رضوان الله عليه) كما في ص١٠٧ من كتاب «إبصار العين» للشيخ السماوي:

إن تنكروني فأنا ابن كلبِ ... حسبي ببيتي في عليم حسبي

إنّي امروءٌ ذو مرّة ... وعصبي ولست بالخوار عند الحربِ

إنّي زعيم لكِ أمّ وهب ... بالطعن فيهم مقدماً والضرب

ولمّا كنت أوّل خارج عليك، فأذن لي أكون أوّل شهيد بين يديك.

والصحيح أنّه لم يكن قد قتل من أصحاب الحسين عليه السلام أحد.

حملة الحرّ وولده وأخيه على العسكر

نعم، قد أصيب بالجراحات جماعة، فأذن له الحسين عليه السلام، فحمل حملة الليوث المغضبة[1]، فلم يحصر عدد من قتله الحرّ[2].

أمّا ولده عليّ فقتل برواية أبي مخنف سبعين فارساً ثمّ استشهد[3]، فلمّا رآه أبوه الحرّ، قال: الحمد لله الذي رزقك الشهادة، وكان مصعب أخ الحرّ حينئذٍ في عسكر ابن سعد،

---

(١) وهو يقول كما في ج ٤، ص ١٠٠ من «مناقب آل أبي طالب»:

إنّي أنا الحرّ ومأوى الضيف	أضرب في أعناقكم بالسيف
عن خير من حلّ بلاد الخيف	أضربكم ولا أرى من حيف

(٢) ذكر الخوارزمي في ج ٢، ص ١١ من كتابه «مقتل الحسين» أنّ الحرّ قتل ٤٠ فارساً وراجلاً.

(٣) مقتل الحسين (ع) لأبي مخنف: ص ١٢٠.

فلمّا رأى حملات الحرّ وتكالب القوم عليه، وشهادة ابن أخيه كرّ على الحرّ بفرسه، فحسبوه قد حمل على أخيه ليقاتله. فلمّا وصل إليه عانقه وبكى، وجاء به إلى الحسين عليه السلام، فتاب وأناب ورجع إلى الميدان، فقاتل حتى قتل.

وبقي الحرّ يدير رحى الحرب وحده يحصد الرؤوس ويخمد النفوس، حتى قَتل في حملته الأخيرة ثمانين فارساً من أبطالهم، فضجّ العسكر وصعب عليهم أمره، فنادى ابن سعد بالرماة والنبّالة فأحدقوا به من كلّ جانب حتى صار درعه كالقنفذ، هنالك اتّقدت نار الغيرة في كانون فؤاده، ووقف وقفة المستميت فنزل عن فرسه وعقرها لأنّها لم تستطع الاقتحام من كثرة السهام. وأخذ يكرّ عليهم راجلاً إلى أن سقط على الأرض وبه رمق، فكرّ عليه أصحاب الحسين عليه السلام واحتملوه حتى ألقوه بين يدي الحسين عليه السلام، فجعل الحسين يمسح الدم والتراب عن وجهه وهو يقول:

ما خطأت أُمّك إذ سمّتك حرّاً، أنت الحرّ في الدنيا والحرّ

في الآخرة[1]، ثمّ استعبر عليه السلام.

التحاق غلام الحرّ بعسكر الحسين عليه السلام

وكان للحرّ غلام اسمه عروة تخلّف في جيش ابن سعد، فلمّا رأى شهادة مولاه وابنه وأخيه، وتفانيهم في الحرب، أخذه مثل الجنون والحيرة لا بالإيمان والغيرة، فجعل يضارب ويقاتل في وسط عسكر ابن سعد. وقيل: إنّه قَتل مَن عن يمينه ويساره حتى أتى الحسين عليه السلام فاستأذنه، فأذن له فقاتل حتى قتل. هنالك استعرتِ نار الحرب وألقت بأمراسها وعضّت بأضراسها.

---

(١) بحار الأنوار ج٤٥، ص١٤.

ثمّ رثاه رجل من أصحاب الحسين (ع) ببيتين من الشعر على ما ذكره الشيخ المفيد في ج٢، ص١٠٠ من «إرشاده»، أو علي الأكبر على ما ذكره الشيخ المجلسي في ج٤٥، ص١٤ من «بحاره»، أو الإمام الحسين على ما ذكره الفتّال النيسابوري في ج١، ص١٨٦ من «روضته» والبيتان هما:

لنعم الحرّ حرّ بني رياح ... وحرّ عند مشتبك الرماح

ونعم الحرّ إذ نادى حسينٌ ... فجاد بنفسه عند الصباح

فتقدّم برير بن خضير[1]، وكان سيّد القرّاء، ومن أعبد أهل زمانه، فاستأذن الحسين عليه السلام فأذن له فحمل[2] كالليث الضاري والصاعقة النازلة، ففرّوا من بين يديه، فجعل يناديهم: اقتربوا منّي يا قتلة أولاد النبيّين، فبرز إليه يزيد بن معقل، فتباهلا أن يقتل الله المبطل منهما على يد المحقّ فتجالدا، ولم يلبث برير أن ضرب يزيد بالسيف على المغفر، فقدَّ المغفر وفلق هامته نصفين حتى سال مخّ دماغه وسقط إلى الأرض[3]، فكبّر العسكران، وحمل منقذ بن مرّة العبدي فاعتنقا وتصارعا فصرعه برير وجلس على صدره، ولم يكن معه سيف ليقتله فشدّ عليه من ورائه كعب بن جابر،

---

(١) الهمداني المشرقي وبنو مشرق بطن من همدان، من أجلّاء أصحاب أمير المؤمنين (ع)، ومن أشراف أهل الكوفة ـ انظر: ترجمته في كتاب «إبصار العين» للشيخ السماوي ص ٧٠.

(٢) وهو يقول على ما في ج ٢، ص ١١ من «مقتل الحسين» للخوارزمي:

أنـــا بـــرير وفـــتى خـــضيرِ　　أضـــربكم ولا أرى مـــن ضـــيرِ

يعرف فـي الخـير أهـل الخـيرِ　　كـــذاك فـعل الخـير مـن بـريرِ

(٣) بحار الأنوار للشيخ المجلسي ج ٤٥، ص ١٥.

فطعن بريراً في ظهره، فلمّا احسّ بحرّ السنان عضّ أنف ابن منقذ فقطعه، وقام عنه.

فوجد كعب بن جابر فرصة فعلاه بالسيف، ففاضت نفسه الطيّبة، وولّى منقذ منهزماً.

قال ابن الأثير: لمّا رجع ابن جابر (لعنه الله) إلى زوجته قالت له: أعنت على ابن فاطمة، وقتلت بريراً سيّد القرّاء، فلا كلّمتك بعدها أبداً[1].

شهادة وهب بن عبدالله الكلبي

ثمّ خرج وهب بن عبدالله الكلبي[2]، وكانت معه أُمّه وزوجته.

ويظهر من أنّ في أصحاب الحسين عليه السلام رجل آخر يسمّى

---

(١) تاريخ ابن الأثير ج٤، ص٦٧.

(٢) وهو يقول كما ج٢، ص١٢ من «مقتل الحسين» للخوارزمي:

إن تنكروني فأنا ابن الكلب ... سوف تروني وترون ضربي
وحملتني وصولتي في الحرب ... أدرك ثأري بعد ثأر صحبي
وأدفع الكرب بيوم الكربِ ... فما جلادي بالوغا باللعبِ

وهب بن وهب، وكان نصرانياً، أسلم على يد الحسين عليه السلام في الطريق. وكانت أُمّ وهب تحثّه على القتال وتقول له: قم يا بنيّ، فانصر ابن بنت رسول الله، فاستأذن الحسين عليه السلام وانحدر إلى المعركة، فقاتل حتى قَتل جماعة ورجع إلى أُمّه، وقال: أرضيتي يا أُمّاه فقالت:

لا أرضى حتى تُقتل بين يدي أبي عبدالله. فرجع من فوره وقتل تسعة عشر فارساً واثني عشر راجلاً.

وفي ناسخ التواريخ[1]: أنّهم قطعوا يمينه، فصار يقاتل بشماله، فقطعوا شماله.

زوجة وهب (أوّل شهيدة)

فأخذت زوجته عموداً من حديد وانحدرت إلى المعركة تقاتل، فقال لها وهب: الآن كنت تنهينني عن القتال، وتقولين لي: لا تفجعني بنفسك، فما بدا لكِ؟ فقالت: سمعت

---

(١) ناسخ التواريخ ج٢، ص٣٤٥.

من الحسين عليه السلام كلاماً قطّع نياطَ جناني، وهدّ أركاني، ورغبت معه عن الحياة، سمعته ينادي:

وا غربتاه، وا قلّة ناصراه، وا وحدتاه، أما من مجير يجيرنا، أمّا من ذابٍ يذبّ عنّا.

وسمعت أصوات نسائه قد ارتفعت بالبكاء في الخيمة، وخرجت لِأُقتل معك وأنال السعادة.

يقول صاحب الناسخ(١): ولمّا لم تكن له يد أنّه عضّ بأسنانه على ثيابها ليرجعها إلى الخيمة، فأفلتت نفسها منه، وعادت إلى الحرب، فاستغاث وهب بالحسين عليه السلام، فقال: جزيتم من أهل بيت خيراً، ارجعي إلى النساء بارك الله فيكِ فإنّه ليس عليكن قتال، ولم يزل بها حتى أرجعها، فوقفت تنظر ما يكون من زوجها حتى قتل، فجائت وجعلت تخضب شعرها بدمه، وتمسح جبينها بنحره، فأمر الشمر (لعنه الله) غلاماً له يقال له رستم، فضربها بعمود من الحديد،

---

(١) ناسخ التوايخ ج٢، ص٣٤٥.

فصرعت إلى جنب زوجها[1].

قال: وهي أوّل امرأة قُتلت في عسكر الحسين عليه السلام، ويظهر من هذا أنّه قتل في عسكره عليه السلام عدّة نساء.

وحُمِل جسد وهب إلى ابن سعد (لعنه الله)، فجعل ينظر إليه ويقول: ما أشدّ صولتك، وأمر فقُطع رأسه ورُمي به إلى معسكر الحسين[2].

أُمّ وهب

فأخذته أُمّه، وجعلت تمسح الدم والتراب عنه وتقول: الحمد لله الذي بيّض وجهي بشهادتك بين يدي أبي عبدالله عليه السلام، ثمّ قالت: الحكم لله يا أُمّة السوء. إنّ النصارى في كنايسها، واليهود في بِيعها لخير منكم، ثمّ رمت برأس ولدها نحو عسكر ابن سعد[3].

---

(١) مقتل الحسين (ع) للخوارزمي ج٢، ص١٣.

(٢) (٣) بحار الأنوار ج٤٥، ص١٧.

ويقول صاحب الناسخ[1]: فمن عجيب الاتّفاق أنّه أصاب صدر قاتل وهب وقتله.

ثمّ أخذت عمود خيمة وتوجّهت إلى المعركة، فقتلت نفرين، وجاء الحسين عليه السلام وردّها إلى الخيمة.

مسلم بن عوسجة ونافع بن هلال

وبرز مسلم بن عوسجة[2]، ونافع بن هلال[3]، فلم يبرز إليهم رجل إلّا قتلوه. فنادى عمرو بن الحجّاج بأصحابه: يا حمقاء، أتدرون مَن تقاتلون؟ هؤلاء شجعان العصر

---

(١) ناسخ التواريخ ج٢، ص٣٤٨.

(٢) هو مسلم بن عوسجة بن سعد بن ثعلبة .... الأسدي، كان كما وصفه الشيخ السماوي في ص٦١ من «إبصار العين» رجلاً شريفاً، سرياً، عابداً، متنسكاً ... برز وهو يقول:

إن تسألوا عنّي فإنّي ذو لبد ... من فرع قوم في ذرى بني أسد

فمن بغاني حايدٌ عن الرشد ... وكافر بدين جبّارٍ صمد

(٣) هو نافع بن هلال بن نافع بن جمل ... المذحجي كان كما وصفه أهل السير رجلاً شريفاً، شجاعاً، مطيعاً لله، تالياً لكتابه المجيد، من أصحاب أمير المؤمنين (ع)، وحضر حروبه ... ـ انظر: ترجمته في ج٣، ص٢٦٦ من كتاب «تنقيح المقال» وله ترجمة أيضاً في ص٨٦ من «إبصار العين».

وفرسان المصر، إنّهم قوم مستميتون، فلا يبرز إليهم منكم أحد، وإنّهم لقليل وقليل ما يبقون. والله لو لم ترموهم إلّا بالحجارة لقتلتموهم. فقال ابن سعد: الرأي ما رأيت.

ثمّ دنى ابن الحجّاج إلى صفّ السعداء بأصحابه الأشقياء، وهو يحرّضهم على الصبر ورشق النبل، ويقول لهم: لا تخرجوا عن طاعة إمامكم، ولا تفرّقوا الحوزة المجتمعة، ولا يكن خروج هذه الشرذمة القليلة عن الدين وعصيانها للإمام يدخل بالشكّ عليكم.

فقال له الحسين عليه السلام: يابن الحجّاج، أعليَّ تحرّض الناس؟ وأنا الخارج عن الدين زعمت وأنت الثابت عليه؟!! أُقسم بالله لتعلمنّ من المارق من الدين، إذا انتزع ملك الموت نفسك[1].

ثمّ حمل ابن الحجّاج بالميمنة من جانب الفرات على أصحاب الحسين عليه السلام فاقتتلوا ساعة، ثمّ انجلت الغبرة وإذا

---

(١) بحار الأنوار للشيخ المجلسي ج٤٥، ص١٩.

بمسلم بن عوسجة صريع في المعركة[1].

فجاء عليه السلام وحبيب وجلسوا عنده، وتكلّموا بما هو معروف[2].

وصرخت جارية مسلم: وا سيّداه، يابن عوسجتاه[3]، فعلم أصحاب ابن سعد أنّهم قتلوا مسلم فتباشروا.

فقال شبث بن ربعي (لعنه الله): ثكلتكم أُمّهاتكم تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتفرحون بذلك، أوَ يفرح مسلم بقتل

---

(١) نفس المهموم للشيخ عباس القمّي: ص٢٦٤.

(٢) إليك ما تكلّم به كلّ من الحسين وعميد أنصاره حبيب بن مظاهر حين وقفا على مسلم بن عوسجة، أمّا الحسين فقد قال كما ـ في ج٤٥، ص٢٠ من «بحار الشيخ المجلسي» ـ: «رحمك الله يا مسلم وتلى قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾» ـ سورة الأحزاب / ٢٣.

وأمّا حبيب فقد دنا منه وكان به رمق الحياة وقال: «عزّ عليَّ مصرعك، يا مسلم ابشر بالجنّة». فقال له مسلم بصوت ضعيف: «بشّرك الله بخيرٍ» فقال له حبيب: لولا أعلم أنّي في الأثر لاحقٌ بك لأحببت أن توصني بكلّ ما أهمّك، فقال مسلم: أُوصيك بهذا وأشار إليه سيّد الشهداء السعداء أن تموت دونه.

نصروه أحياءً وعند مماتهم ... يوصي بنصرته الشفيق شفيقا

رحمك الله يا مسلم، ما أعظمك وما أجلّك، لقد أعطيت وأيم الله وأنت في لحظاتك الأخيرة الناس دروساً رائعة في الولاء الباهر للحقّ وأهله.

(٣) نفس المهموم: ص٢٦٥.

مسلم، أُقسم لقد رأيت له مع جيوش المسلمين في حروب المشركين مواقف عظيمة، ومقامات كريمة[1].

ثمّ حمل شمر (لعنه الله) بالميسرة على أصحاب الحسين عليه السلام، فثبتوا رضوان الله عليهم، وقاتلوا بقلب ثابت وجأش رابط وهم مع ذلك لم يكونوا بأكثر من اثنين وثلاثين فارساً.

وقد ذكرهم أرباب المقاتل بهذه العبارة، قالوا: فلا يحملون على جانب من خيل الكوفة إلّا كشفوه.

وأرسل عروة بن قيس ـ وكان أميراً على فرسان أهل الكوفة ـ إلى ابن سعد يقول: أما ترى إلى ما تلقى خيلي من هذه العدّة اليسيرة، ابعث إليهم الرجّالة والرماة.

فقال ابن سعد لشبث ـ وكان أميراً على الرماة ـ: ألا تذهب إليهم وتكفينا أمرهم، فأظهر شبث الكراهية، ولم تزل آثار كراهيّة القتال ظاهرة عليه، فقال: سبحان الله، أكبر قبائل مضر وشيخ كافة أهل الكوفة ألم تجد من جملة هذه

---

(١) تاريخ الطبري ج٤، ص٣٣٢.

الشجعان ومشاهير الفرسان وسائر الرماة والنبالة أشجع ولا أقوى منّي، فعندها نادى ابن سعد الحصين بن نمير وانتخب له خمسمائة من الرماة فرموا أصحاب الحسين عليه السلام فثبتوا لرشق النبال، وشقّ الأنصال، وقد تتابعت كالقطر والمطر، فما مضى غير قليل إلّا وحمل أصحاب الحسين عليه السلام عليهم حملة الليوث الضواري وفرّقوهم تفريق الجراد المنتشر.

وقال ابن الأثير[1]: إنّ أشدّ قتال أوجده الله في العالم ما برز من أصحاب الحسين عليه السلام في ذلك اليوم، وكان عليه السلام أمر أن تجعل بيوته وخيامه وخيام أصحابه كلّها بعض إلى بعض، حتى يصير كشيء واحد، وأن تجعل خلف ظهورهم وعن أيمانهم وشمائلهم ويستقبلوا بوجه واحد، رأى ابن سعد ما أعياه من صبرهم وثباتهم وشجاعتهم أراد أن يأتيهم من ورائهم ويحيط بهم من جميع جوانبهم، فأمر ابن سعد أن

(١) في ج٤، ص٥٩ من كتابه «الكامل في التاريخ».

تقوّض الخيام وتقطّع الأطناب، فأمر الحسين عليه السلام بعض أصحابه فوقف بين الأطناب يدافع عن الخيام، فإذا دنى الفارس عقر فرسه، وإذا أبعد شُكّ بالنبل في فؤاده، لذا أمر ابن سعد أن تحرق الخيام على مَن فيها من ودايع النبوة، لينفتح لهم طريق العبور إلى أصحاب الحسين عليه السلام من خلفهم.

فقال عليه السلام: لا ضير عليكم من إحراقها فإنّها تكون خندقاً بينكم وبينهم تمنعهم الوصول إليكم، ثمّ إنّ أصحاب النار أحرقوا جملة من الخيام التي على اليمين واليسار ولم يمكّنهم العبور، كما قال الإمام.

وجاء شمر (لعنه الله) مع عدّة من زبائنه، فوقف على فسطاط الحسين وهو مضروب السرادق على حرم الرسالة وكبرياء العصمة ومخدّرات العزّة، فقال: عليَّ بالنار لِأُحرقه على مَن فيه، فخرجت الجواري وهنّ صوائح، فقال الإمام عليه السلام للشمر: أنت تحرق بيتي على أهلي، أحرقك الله بالنار، فمنعه حميد بن مسلم فلم يمتنع، وما انفكّ يطلب النار حتى جاءه شبث بن ربعي فصرفه عن ذلك.

اهتمام الحسين عليه السلام بصلاة الجماعة في المعركة

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام صلّى صلاة الزوال بأصحابه صلاة الخوف، وتقدّم سعيد بن عبدالله الحنفي[1]، وجعل بدنه وقاية للإمام عليه السلام وقف يقيه بنفسه ما زال ولا تخلّى حتى سقط على الأرض وهو يقول: اللّهمّ العنهم لعن عاد وثمود، اللّهمّ أبلغ نبيّك عنّي السلام وأبلغه ما لقيت من الجراح[2]، ثمّ قضى (رضوان الله عليه) والذين جعلوا أنفسهم للحسين وقاية ومجناً جماعة من أصحابه، منهم: حنظلة بن سعد الشبامي[3]، وعمرو بن قرظة الأنصاري[4]، فكان لا يأتي الحسين عليه السلام سهم إلّا اتّقاه، ولا سيف إلّا تلقّاه، فلم يكن يصل إلى

---

(١) من أفاخم أصحاب مولانا الحسين (ع)، ومن ذوي الشجاعة والعبادة فيهم، له (رضوان الله عليه) ذِكر وترجمة في ص١٢٥ من «كتاب إبصار العين في أنصار الحسين» للشيخ محمّد السماوي.

(٢) إليكَ تتمّة كلامه كما في ص٢٧٥ من كتاب «نفس المهموم» للشيخ عباس القمّي: «فإنّي أردت ثوابك في نصرة ذرّية نبيّك». ثمّ قضى نحبه.

(٣) ترجم له المحقّق الثبت الشيخ محمّد السماوي في ص٧٧ من كتابه «إبصار العين» فوصفه بأنّه من وجوه الشيعة ومن ذوي الفصاحة والشجاعة.

(٤) له (قدّس سرّه) ترجمة في ص٩٢ من كتاب الشيخ السماوي آنف الذكر.

الحسين عليه السلام سوء، حتى أُثخن بالجراح، فالتفت إلى الحسين عليه السلام وقال: أوفيت يابن رسول الله؟! فقال: نعم أنت أمامي في الجنة، فاقرأ جدّي السلام وأعلمه أنّي بالأثر[1].

والغرض أنّه قد ظهرت ذلك اليوم من تلك الليوث الضواري والبدور السواري شجاعة خارقة وجلادة صادقة، وقد أثر عن ثقات المحدّثين أنّ شجاعة تلك الفئة القليلة وبسالتهم في ذلك الموقف قد أدهشت عقول ذوي المعرفة وفاتت حدّ النعت والصفة[2].

---

(١) بحار الأنوار ج٤٥، ص٢٢.

(٢) وأُضيف إلى ما ذكره الإمام كاشف الغطاء (قدّس سرّه الشريف) أنّ شجاعتهم النادرة وبسالتهم الفائقة شهد بها حتى عدوّهم.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في ج٣، ص٢٦٣ من «شرحه على النهج» قيل لرجلٍ شهد يوم الطفّ مع عمر بن سعد: ويحك أقتلتم ذرّية رسول الله، فاندفع قائلاً: «عضضت بالجندل إنّك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة أيديها على مقابض سيوفها كالأُسود الضارية تحطم الفرسان يميناً وشمالاً وتلقي أنفسها على الموت لا تقبل الأمان ولا ترغب ....».

وقد تسابق شعراء أهل البيت (عليهم السلام) إلى تصوير شجاعتهم التي باتت مضرب الأمثال فهذا كبير شعراء عصره السيّد حيدر الحلّي (طاب ثراه) يقول في إحدى روائعه:

هم القوم إمّا أجروا الخيل لم تطأ ... سنابكها إلّا دلاصاً ومغفرا

إذا ازدحموا حشداً على نقع فيلقٍ ... رأيت على الليل النهار تكوّرا ⇦

حتى إنّ زهير بن القين ﵁ ما سقط ولا قتل حتى قتل منهم مائة وعشرين فارساً[1].

وحبيب بن مظاهر اثنين وستّين من أبطالهم[2].

شهادة نافع بن هلال

وكان نافع بن هلال كتب اسمه على أفواق سهامه وسق نصاله السمّ، فقتل بسهم واحد اثني عشر رجلاً، ولما خلت كنانته من السهام، قاتل بسيفه حتى تكسّرت عضداه وأُخذ أسيراً إلى ابن سعد فقتله الشمر صبراً[3].

⇦ وقال في رائعة أُخرى:

دكّـــوا ربــاها ثــمّ قــالوا لهــا ... وقــد جــثوا نــحن مكـان الربـا

وقال آخر لم يحضرني اسمه:

فلو وقفت صـمّ الجـبال مكـانهم ... لمادت على سهل ودكّت على وعر

فمن قائم يستعرض النبل وجـهه ... ومن مقدم يرمي الأسـنّة بـالصدر

(١) نصّ على ذلك ابن شهرآشوب في ج٤، ص١٠٤ من «مناقبه»، والشيخ عباس القمّي في ص٢٧٧ من «نفس المهموم».

(٢) نصّ على ذلك ابن شهرآشوب في ج٤، ص١٠٣ من «مناقبه».

(٣) مقتل الحسين (ع) للخوارزمي ج٢، ص٢١.

قال ابن الأثير[1]: إنّ أبا الشعثاء الكندي المعروف بيزيد ابن زياد جثا بين يدي الإمام عليه السلام على ركبتيه، ورمى مائة سهم فأصاب مائة رجل ما أخطأ سوى أربعة.

عابس بن شبيب[2]

وقال ربيع بن تميم: لمّا دخل المعركة عابس بن شبيب، أشجع فارس، ناديت: هذا أسد الأُسود، هذا ابن شبيب، فلا يبارزنّ إليه أحد، فوقف يطلب المبارزة، وينادي ألا رجل؟ فلا يجاب، وقد أحجم ذلك الجمع الغفير كلّهم عنه، فنادى ابن سعد: ويحكم ارضخوه بالحجارة[3]، فأحاطوا به وجعلوا يرضخونه بالصخور، فلمّا رأى عابس (رضوان الله عليه) ذلك نزع درعه ومغفرته وألقاهما وشدّ عليهم شدّة الصقر

---

(١) الكامل في التاريخ ج ٤، ص٧٤.

(٢) ابن شاكر بن ربيعة بن مالك ... الهمداني الشاكري، وبنو شاكر بطن من همدان.

وصفه الشيخ المامقاني في ج٢، ص١١٢ من كتابه «تنقيح المقال» بقوله: «كان عابس من رجال الشيعة، رئيساً، شجاعاً، خطيباً، ناسكاً، متهجّداً...».

(٣) تاريخ الطبري ج ٤، ص٣٣٨.

على الرخم، فأُقسم بالله لقد رأيته طرد أكثر من مـائتين، ثمّ رأيت رأسه بعد ذلك بين جماعة كلّ يقول أنا قتلته، فقال لهم ابن سعد: لا تختصموا فإنّ عابس لم يك ليقتله رجل واحد، بل كلّ العسكر قتله.

شوذب مولى شاكر[1]

ثمّ تقدّم شوذب مولى شاكر، فقال:

يا أبا عبدالله، أما والله ما أمسى على وجه الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليَّ ولا أحبّ إليَّ منك، ولو قدرت أن أدفـع الضيم عنك أو القتل بشيء أعزّ من نفسي وروحي لفعلت، السلام عليك يا أبا عبدالله، أُشهد الله أنّي على هداك وهدى أبيك.

ثمّ استأذن وبرز، فقاتل حتى قُتِل.

وعلى مثل هذا جلّهم، بل كلّهم.

---

(١) من رجال الشيعة ووجوهها، ومن الفرسان المعدودين، هكذا وصفه العلّامة السماوي في ص٧٦ من كتابه «إبصار العين».

حبيب بن مظاهر

في بعض الأخبار: إنّ حبيب بن مظاهر أحد السبعين الذين لاقوا جبال الحديد، واستقبلوا السيوف والرماح بوجوههم وصدورهم والأموال تبذل لهم، والأمان يعرض عليهم، والبلاء المحدق بهم وبأهاليهم وهم يمتنعون أشدّ الامتناع ويقولون لا عذر لنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله أن يصل إلى الحسين سوء وفينا عين تطرف، ولم يزالوا يبرز إلى الحرب واحد بعد واحد حتى قُتلوا جميعاً.

أهل البيت عليهم السلام في الميدان

ولم يبق مع الحسين عليه السلام سوى لحمته من أولاده وخاصّة أهل بيته، فاجتمعوا وجعل يودّع بعضهم بعضاً ويبكون[1].

فقيل: أوّل من تقدّم من بني هاشم بنو عقيل، بدأهم بذلك عبدالله بن مسلم، ثمّ أخوه محمّد، ثمّ عمّه جعفر بن

---

(١) مقتل الحسين (ع) للخوارزمي ج ٢، ص ٢٦.

عقيل، ثمّ أولاد جعفر بن أبي طالب، ثمّ أولاد الحسين عليه السلام، ثمّ أولاد أمير المؤمنين، وهم يناهزون العشرة.

ولكن الأصحّ أوّل من تقدّم من بني هاشم عليّ الأكبر[1] (سلام الله عليه)، كما في نصّ زيارة الناحية:

السلام عليك يا أوّل قتيل من نسل إبراهيم الخليل[2].

---

(١) هو عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (ع).

كنيته «أبو الحسن» كما يظهر من الزيارة المروية عن الإمام الصادق (ع) على لسان أبي حمزة الثمالي.

جاء في ص٤١٦ من **«كامل الزيارات»** لابن قولويه القمّي أنّ الإمام الصادق قال لأبي حمزة بعد كلامٍ: «ثمّ ضع خدّك على القبر - يريد قبر عليّ بن الحسين - وقل: صلّى الله عليك يا أبا الحسن (ثلاثاً) بأبي أنت وأُمّي أتيتك ....».

لقبه «الأكبر» لكونه أكبر أولاد إمامنا الحسين(ع) على ما هو مشهور وفي الكتب مسطور.

كان سلام الله عليه حاوياً كما تنطق بذلك سيرته العطرة لصفات طيبة وخصال حميدة وسجايا رائعة ورثها من آبائه الكرام وأجداده العظام.

ولقد أجاد وأحسن مادحه وراثيه العلّامة الكبير الشيخ عبدالحسين الشيخ صادق العاملي، حيث قال:

جمع الصفات الغرّ وهي تراثه ... من كلّ غطريفٍ وشهم أصيد

في بأس حمزة في شجاعة حيدرٍ ... بأبى الحسين وفي مهابة أحمد

وتراه في خلقٍ وطيب خلائقٍ ... وبليغ نطقٍ كالنبيّ محمّد

(٢) ومنها «صلّى الله عليك وعلى أبيك إذ قال فيك: قتل الله قوماً قتلوك يا بنيّ ....» - انظر: بحار الأنوار ج ٤٥، ص ٦٥.

وعلى الجملة: فبعد شهادة أنصار الحسين عليه السلام، تقدّم إلى مكافحة الأهوال ومناطحة الأبطال أولاده وأولاد عمّه جعفر وعقيل، وأولاد اخوته، فأبدوا من الشهامة والكرامة والبراعة والشجاعة والبسالة والنجدة ما أدهش العقول والألباب وفات حدّ العجب والاعجاب، كما هو مقتضى شرف عنصرهم، ونفاسة جوهرهم، وقداسة ذواتهم، وجدّوا واجتهدوا في إعلاء كلمة الله ومواساة ولي الله.

وإن الأُلى بالطفّ من آل هاشم تأسّوا فسنّوا الكرام التأسّيا

علي الأكبر عليه السلام

أمّا عليّ الأكبر، فقد قال أرباب المَقاتل أنّه لم يزل يقاتل حتى ضجّ العسكر من كثرة القتلى[1]، ولذا لمّا صرع بضربة منقذ بن مرّة العبدي وحمله الفرس إلى معسكر الأعداء

---

(١) قَتل (سلام الله عليه) في حملته الأُولى ـ حسب ما ذكره الخوارزمي في ج٢، ص٣٠ من كتابه «مقتل الحسين» ـ مائةً وعشرين رجلاً، وأكمل في حملته الثانية تمام المائتين حسب ما ورد في ص١٩٤ من كتاب «تظلّم الزهراء».

قطّعوه بسيوفهم إرباً إرباً[1].

مصرع العبّاس عليه السلام

وأمّا العباس: فناهيك من شجاعته أنّه كان حامل لواء الحسين عليه السلام[2].

وهذا اللواء حمل مع السبايا والصفايا إلى يزيد (لعنه الله)،

---

(١) تاريخ الطبري ج٤، ص٣٤٠.

(٢) أدلُّ دليلٍ ولا شكّ على شجاعة أبي الفضل التي ورثها من أبيه بطل الإسلام بل بطل العالم ومفخرة بني آدم هو حمله (ع) اللواء يوم الطفّ؛ لأنّ حمل اللواء كما هو معلوم مهمة لا تناط إلّا بالمشهود لهم بالشجاعة والإقدام ورباطة الجأش وفخرُ عدنانٍ شهد له البعيد قبل القريب والعدوّ قبل الصديق بأنّه الفتى الباسل والبطل الضرغام.

وهنا يعجبني أن تقرأ معي أبياتاً من قصيدة الشاعر الماهر السيّد جعفر الحلّي (رحمه الله) التي وصف فيها ما مني به الجيش الأُموي من الرعب والفزع والهلع حين أطلّ أبوالفضل على أرض المعركة يقول:

وقع العذاب على جيوش أُميّة	من باسل هو في الوقائع معلم
ما راعهم إلّا تقحّم ضيغمٍ	غيران يعجم لفظه ويدمدم
عبست وجوه القوم خوف الموت	والعباس فيهم ضاحك يتبسّم
قلب اليمين على الشمال وغاص في	الأوساط يحصد للرؤوس ويحطم
ما كرّ ذو بأس له متقدماً	إلّا وفرّ ورأسه المتقدّم
صبغ الخيول برمحه حتى غدا	سيّان أشقر لونها والأدهم
ما شدّ غضباناً على ملومةٍ	إلّا وحلّ بها البلاء المبرم
وله إلى الإقدام نزعة هارب	فكأنّما هو في التقدّم يسلم

فلمّا نشره لم يجد فيه موضعاً سالماً من رشق السهام، وطعن الرماح، وضرب السيوف، سوى موضع قبضة كفّ العباس.

فلما نظر إليه بهذه الصفة أخذه العجب وجعل يقوم ويقعد ويقول:

أبيت اللعن أبا الفضل، هكذا يصنع الأخ لأخيه؟!!

وأعظم من ذلك قول بني أسد[1] أنّ على المسناة بطلاً كلّما حملنا منه جانباً سقط الآخر. ولم يختصّ ذلك برجالهم وأبطالهم، بل ما بدى من غلمانهم وأطفالهم أدهى وأدهش.

القاسم بن الحسن عليه السلام

فهذا القاسم بن الحسن، وهو غلام لم يبلغ الحلم.

وقال أرباب المَقاتل: لمّا نظر الحسين عليه السلام قد برز، اعتنقه وجعلا يبكيان حتى غشي عليهما[2]، فلمّا أفاقا استأذن عمّه، فأبى أن يأذن له، فلم يزل يقبّل يديه ورجليه

---

(١) لمولانا السجّاد زين العابدين (ع) في كلّ آنٍ وحين، لمّا جاء لدفن الأجساد الطاهرة.

(٢) نفس المهموم: ص ٣٢١.

ويبكي حتى أذن له[1].

فانحذر إلى الميدان ودموعه تسيل على خدّيه وهو يقول:

إن تنكروني فأنا نجل الحسن

سبط النبيّ المصطفى والمؤتمن

هذا حسين كالأسير المرتهن

بين أناس لا سقوا صوب المزن

وكان جبينه كالكوكب الدرّي، ووجهه كفلقة قمر.

قالوا: فقاتل قتالاً شديداً حتى قَتل على صغر سنّه اثنين وثلاثين فارساً، وقيل: سبعين[2].

وفي الناسخ[3]: أنّهم وجّهوا لمبارزته فارساً يعدّ بألف، فما لبث القاسم عليه السلام أن قسّمه إلى نصفين.

وبرز هذا الغلام، وهو على أُبّهته ووقاره وشارته

---

(١) بحار الأنوار ج٤٥، ص٣٤.

(٢) وقيل كما في ص ٣٢١ من «نفس المهموم» خمسة وثلاثين، والله العالم.

(٣) ناسخ التواريخ ج٢، ص٣٢٧.

وشعاره، عليه رداءان، وفي رجليه نعلان، يتهادى إلى منيّته كأنّه يزفّ إلى حجلته. ثمّ لما انقطع شسع نعله، وهو بين الأسنّة والسيوف كالبدر في هالته، وقف يشدّ شسع نعله، غير ميّال ولا مكترث، كأنّ نقيبته الزكية وجنانه الثابت أبى له أن يمشي في ميدان البسالة والاقدام حافي الأقدام[1]، فبينا هو منحنٍ يشدّ نعله إذ شدَّ عليه عمر بن سعد الأزدي (لعنه الله)، فضربه بالسيف على أُمّ رأسه، فوقع لوجهه[2] ونادى: يا عمّاه، فانقضّ عليه كالصقر، وشدّ على الصفوف شدّة الليث في الحرب، وضرب عمراً قاتله بالسيف، فاتّقاه بيده فأطنّها[3] من المرفق، فصاح صيحة

---

(١) قال العلّامة السيّد ميرعلي أبو طبيخ (رحمه الله):

أهوى يشدّ حذاءه	والحرب مشرعة لأجله
ليسومها ما إن غلت	هيجاؤها بشراك نعلِه
متقلّداً صمصامه	متفيئاً بظلال نصله
لا تعجبنّ لفعله	فالفرع مرتهنّ بأصله
السحب يخلفها الحيا	والليث منصور بشبله

(٢) تاريخ الطبري ج٤، ص٣٤١.

(٣) أي قطعها.

سمعها العسكر، وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوه، فاستقبلته بصدورها ووطأته بحوافرها، حتى هلك[1]، فانجلت الغبرة وإذا بالحسين عليه السلام قائم على رأس الغلام وهو يفحص برجليه. والحسين عليه السلام يقول: يعزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا يعينك (فلا يغني عنك)، هذا والله يوم كثر واتره وقلّ ناصره[2].

ثمّ احتمله وقد وضع صدره على صدره، فجاء به وألقاه بين القتلى من أهل بيته[3].

هذا حال أطفالهم، وتلك حال أبطالهم، فعلى مثلهم

---

(١) مقتل الحسين (ع) للخوارزمي ج٢، ص٢٧.

(٢) إرشاد الشيخ المفيد ج٢، ص١٠٨.

(٣) ولا أشكُّ إطلاقاً في أنّ رملة أسرعت إلى ولدها القاسم وراحت بعد أن جلست إليه تبكيه وتندبه أشجى ندبةٍ بلسان الحال:

بنيّ رعاك الله ما إن قضيت ... ومن كؤوس الموت لمّا ارتويت

بنيّ فوق الترب لمّا ثويت ... ضاق بعينيّ بنيّ الرحابْ

بنيّ كنت البدر عند الكمال ... يا قمر التمّ حميد الفعال

فكيف وسدّت بنيّ الرمال ... وكيف نجم الصبح في الترب غاب

بنيّ كنت الروضةَ الناضرة ... بنيّ كنت الدرّة الزاهرة

فبعدك العين غدت ساهرة ... فمذ رمى الدهر بقلبي أصاب

فليبك الباكون وليندب النادبون[1].

وحدة الحسين عليه السلام

ثمّ إنّ الحسين عليه السلام لمّا نظر إلى مصارع أنصاره وأهل بيته والتفت يميناً فلم ير أحداً، والتفت شمالاً فلم ير أحداً، استعبر باكياً واستغاث استغاثته الثانية ونادى: هل من ذابّ يذبّ عن حرم رسول الله؟ هل من موحّد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله في اغاثتنا[2]؟ فلم يجبه سوى زين العابدين عليه السلام، فمنعته أُمّ كلثوم لما به من المرض، فقال: دعيني يا عمّتاه أُقاتل بين يدي ابن رسول الله.

فصاح الحسين عليه السلام: خذيه يا أُختاه لئلّا تبقى الأرض

---

(١) وللباكي عليهم أجرٌ جزيل وثواب خطير ـ كما تنطق بذلك الأخبار الصادرة عنهم (سلام الله عليهم).

قال الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين (ع) كما في ص٢٠٢ من كتاب «كامل الزيارات» لابن قولويه القمّي: «من قطرت عيناه فينا قطرة ودمعت عيناه فينا دمعة بوّأه الله في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً».

(٢) بحار الأنوار ج٤٥، ص٤٦.

خالية من نسل آل محمّد[1].

توديع الحسين عليه السلام للعيال

ثمّ عزم على لقاء القوم بنفسه، فجاء إلى الخيام للتوديع ثاني مرّة، فنادى: يا زينب، يا أُمّ كلثوم، يا سكينة، يا فاطمة، عليكنّ منّي السلام، ثمّ جعل يوصيهنّ بالصبر والسكينة والتسليم لقضاء الله.

وقال لهنّ: استعدّوا للبلاء، واعلموا أنّ الله حافظكم وحاميكم، وسينجّيكم من شرّ الأعداء، ويعذّب أعدائكم بأنواع العذاب، ويعوّضكم عن هذه البلية بأنواع النِعم والكرامة، فلا تشكّوا ولا تقولوا بألسنتكم ما يُنقص قدركم ويحبط أجركم[2].

فقالت سكينة: ياأبة، استسلمت للموت فإلى من تكلنا؟

---

(١) مقتل الحسين (ع) للخوارزمي ج٢، ص٣٢.

(٢) مقتل الحسين (ع) للعلّامة السيّد عبدالرزاق المقرّم، نقلاً عن كتاب «جلاء العيون» للشيخ المجلسي.

فقال: يا نور عيني، كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين؟ ورحمة الله ونصرته لا تفارقكم في الدنيا ولا في الآخرة، فاصبري لقضاء الله ولا تشكّي، فإنّ الدنيا فانية والآخرة هي باقية[1].

ثمّ بعد أن فرغ من ودائع حرائر النبوة وودائع الرسالة انحدر إلى المعركة موطّناً على مجالدة القوم بنفسه.

خطبة الحسين عليه السلام الخامسة

وقبل أن يضع السيف فيهم ألقى خطبته الخامسة عليهم وهي التي يقول فيها:

إيه أيّتها الجماعة، هذا آخر مقام أقرع فيه أسماعكم، واحتجّ به عليكم... إلى آخرها.

---

(١) ثمّ ضمّها إلى صدره ومسح دموعها بكمّه ولسان حاله يقول:

هذا الوداع عزيزتي والملتقى	يوم القيامة عند حوض الكوثر
فدعي البكاء وللأسار تهيّأي	واستشعري الصبر الجميل وبادري
وإذا رأيتني على وجه الثرى	دامي الوريد مبضعاً فتصبّري

خطب تلك الخطب الأربع قبل الظهر، وخطب هذه الخطبة بعد الظهر، وليس معه أحد، ثمّ تقدّم للمكافحة[1].

الحسين عليه السلام في الميدان

روى جميع أرباب المَقاتل واثبات المؤرّخين الأفاضل أنّه (صلوات الله عليه) حين بقي وحيداً وتقدّم للحرب صار يتقدّم إليه من جند ابن سعد من صناديد الأبطال وفرسان الرجال واحداً بعد واحد فيقتله[2].

فصاح ابن سعد بأصحابه: الويل لكم أتدرون لمن تقاتلون؟ هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتّال العرب، فاحملوا عليه بأجمعكم حملة رجل واحد[3].

فحملوا عليه من كلّ جانب حتى جعلوه في مثل

---

(١) وهو يقول:

أنا الحسين ابن علي — آليت أن لا أنثني
احمي عيالات أبي — امضي على دين النبي

(٢) حتى قتل (سلام الله عليه) منهم ـ كما يقول أرباب المقاتل ـ مقتلة عظيمة....

(٣) مناقب ابن شهرآشوب ج٤، ص١١٠.

الدائرة، وجعل هو (سلام الله عليه) يغوص في الأوساط، ويقلب الميمنة على الميسرة حتى قتل عامّتهم، وأقام قيامتهم، ولم يزل يقتل في كلّ حملة جملة، وفي كلّ كرّة كثرة، وفي كلّ زحوف اُلوف[1].

قال حميد بن مسلم: فوالله ما رأيت مكثوراً قط قد قُتل ولده وأصحابه أربط جاشاً ولا أمضى جناناً ولا أشدّ إقداماً منه قطّ[2]، وإن كانت الرجال لتشدّ عليه، فيشدّ عليها بسيفه فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب، ولقد كان يحمل فيهم، وقد تكملوا ثلاثين ألفاً، فينهزمون من بين يديه كأنّهم الجراد المنتشر[3].

---

(١) أخو عزمات لو رمى بأقلّها الجبال الرواسي لاستطارت تذعّرا
سطى وسطو حتى تلاقت جموعهم وشتّان بين الثريا إلى الثرى
يصول على الجمع الصحيح بعزمة يعود بها الجمع الصحيح مكسّرا
سقى آل حرب سيفه أكؤس الردى وأفناهم لولا القضاء تقدّرا

(٢) قال شاعر ماهر:

فلم أرى مكثوراً تفانت حماته بأربط جاشاً منه حتى قضى صبرا
قضى بعد ما أجرى الفرات من العدى نجيعاً وأرض الطف صيّرها بحرا

(٣) تاريخ الطبري ج٤، ص٣٤٥.

وكان (سلام الله عليه) في كلّ تلك البرهة يقاتل فارساً تارة على (المرتجز)، وأُخرى على غيره.

ولكنّ الظاهر أنّ الحجر المشوم والسهم المسموم ذو الثلاث شعب وطعنة صالح بن وهب، أوجبت في وجوده المقدّس ما لا يستطيع القلم أن يسطره ولا اللسان أن يذكره.

ولكن لمّا خلا سرج ذي الجناح من هيكل الوحي والتنزيل، أو فقل هوى على الأرض عرش الملك الجليل[1]، وفي المَثَل (عرش بر زمين افتاد)[2] جعل (صلوات الله عليه) يقاتل، وهو راجل في الأرض قتالاً أقعد الفوارس، وأرعد الفرائص، وأذهل عقول فرسان العرب، وأطار عن الرؤوس والألباب واللبيب.

يقول عزّ الدين ابن الأثير[3]:

قاتل (سلام الله عليه) رجالاً قتال الفارس الشجاع يتّقي

---

(١) فهوى العرش للثرى وادلهمّت — برماد المصاب منها النواحي

(٢) تعريبه لما ذكره (قدّس سرّه الشريف): «هوى على الأرض عرش الجليل».

(٣) الكامل في التاريخ ج ٤، ص٧٨.

الرمية، ويتفرس العودة، ويشدّ على الخـيل وهـو يـقول: ويحكم أعلى قتلي تجتمعون ؟! ثمّ يرجع إلى مركزه وهو يقول: لا حول ولا قوّة إلّا بالله[1].

قال المجلسي (رحمه الله)[2]:

ثمّ حمل عليهم كالليث المغضب فجعل لا يلحق أحداً إلّا بعجه بسيفه فقتله، والسهام تأخذه من كلّ ناحية وهو يتّقيها بنحره وصدره، ويقول:

يا أُمّة السوء بئسما خلّفتم نبيّكم محمّداً في عترته.

ولم يزل عليه السلام على هذا ومثله حتى اقتطعوه وحالوا بـينه وبين رحله فصاح: ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم وأنسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون.

فناده شمر: ما تقول يابن فاطمة ؟ قال: أقول: أنا الذي

---

(١) بحار الأنوار ج٤٥، ص٥٠.

(٢) بحار الأنوار ج٤٥، ص٥٢.

أُقاتلكم وتقاتلوني والنساء ليس عليهنّ جناح، فامنعوا عتاتكم عن التعرّض لحرمي ما دمت حيّاً[1].

فقال: لك ذلك يابن فاطمة، ثمّ قال: اقصدوه بنفسه فلعمري لهو كفو كريم[2]. ثمّ جعل يحمل ويحملون عليه. وهو في ذلك يطلب شربة من الماء، ويتلظّى كبده من الظما، ويلوك بلسانه من شدّة العطش، وقد صار كالخشبة.

ثمّ لمّا اشتدّ به الاعياء والعناء، وضعف منه الحال عن القتال، وقف ليستريح هنيئة ولكن سنان ابن أنس، وسيف زرعة بن شريك لم يتمكّن معهما حتى من الوقوف على الأرض، وكان قد أعيا فقعد.

غلام للإمام الحسن عليه السلام

وبينا (سلام الله عليه) هو جالس على الرمضاء، خرج من

(١) مقتل الحسين (ع) للخوارزمي ج٢، ص٣٣.

(٢) بحار الأنوار ج٤٥، ص٥١.

الخيام غلام[1] كأنّ وجهه فلقة قمر، وفي أُذنيه قرطان يتذبذبان على خدّيه.

فجعل يعدو ويركض حتى جاء إلى عمّه الحسين عليه السلام وكأنّه لمّا رأى عمّه تلك الحال والدماء تسيل من جميع جوانبه وجوارحه أدهش وذهل، وبينا هو واقف ينظر إلى عمّه مبهوتاً أهوى بحر بن كعب إلى الحسين عليه السلام بسيفه ليضربه.

فقال له الغلام: أتضرب عمّي؟ يابن الخبيثة، فعدل بضربته إلى الغلام فأصابت يده فأطنّها من المرفق وبقيت معلّقة[2]، فصاح الغلام: واعمّاه فأخذه عمّه وضمّه إليه وأجلسه في حجره، فرماه حرملة بن كاهل فذبحه وهو في حجر عمّه[3]، فاحتسبه عند الله وقال:

---

(١) هو عبدالله بن الحسن بن عليّ(ع) حسب ما جاء في ج٢، ص١١٠ من كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد.

(٢) إرشاد الشيخ المفيد ج٢، ص١١٠.

(٣) بحار الأنوار ج٤٥، ص٥٤.

هوّن عليَّ ما نزل بي أنّه بعين الله .

ثمّ جعل يبكي بكاءاً عالياً[(١)] ، ثمّ انتهى به الحال (سلام الله عليه) أنّه من كثرة نزف الدماء ، ومن شدّة العطش والظمأ ، ومن حرارة الشمس ولفح الهجير ، وترادف المصائب والرزايا ، لم يتمكّن حتى البقاء جالساً على الأرض فصنع له وسادة من الرمل ونام عليها .

ولكن احسب السهام التي في درعه الذي بنى عليه بنياناً وصار كالقنفذ منعته حتى من النوم ، فجعل (أرواح العالمين له الفداء) ينوء ويكبو ويضطجع[(٢)] ثمّ يرتفع ، حتى أُغمي عليه وصار فرسه النجيب يحامي عنه وعليه يحوم ، والإمام تارة يقعد وأُخرى يقوم .

---

(١) أقول: إن صحّت هذه العبارة التي أوردها الشيخ هنا والقائلة بأنّ حسين الإباء والشمم والرجولة قد بكى بكاءً عالياً فإنّي أُقسم بربّ الحسين إنّه (ع) ما بكى لنفسه وإنّما بكى على دين جدّه المصطفى وعلى أُولئك الذين سيدخلون جهنّم صاغرين لمحاربتهم إمام زمانهم وحجّة عصرهم (ع).

(٢) تاريخ الطبري ج٤، ص٣٤٦.

فرس الحسين عليه السلام

قال ابن شهرآشوب[1]:

لمّا صرع الحسين عليه السلام جعل فرسه يحامي عنه، فيثبّ على الفارس فيخبطه على سرجه ويدوسه برجله، حتى قتل الفرس أربعين فارساً. ثمّ تمرّغ في دم الحسين عليه السلام وولّى.

وكأنّ ذلك الفرس، بل الفارس، لمّا رأى أن قد غلب عليه، وأنّ الأمر قد خرج من يديه، وأنّ الشرّ قد تفاقم أو زاد، وأنّ سخط الله قد وقع على العباد أو كاد، قصد الخيمة وله صهيل عال[2]، وهو يضرب بيديه الأرض، ويقول في صهيله:

الظليمة الظليمة من أُمّة قتلت ابن بنت نبيّها!!

(١) في مناقبه ج٤، ص٥٨.

(٢) جاء في زيارة الناحية المنسوبة إلى بقيّة الله في أرضه المهدي المنتظر (ع): «وأسرع فرسك شارداً إلى خيامك قاصداً محمحماً، باكياً، فلمّا رأين النساء جوادك مخزياً، والسرج عليه ملوياً، برزن من الخدور ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات، وللوجوه سافرات، وبالعويل داعيات وبعد العزّ مذلّلات، وإلى مصرعك مبادرات».

قال: فخرجت زينب بنت عليّ من الفسطاط تنادي:

وا أخاه، وا سيّداه، ليت السماء أُطبقت على الأرض[1]، وليت الجبال تدكدكت على السهل[2]، يابن سعد أيقتل أبو عبدالله وأنت تنظر إليه؟!

فصرف وجهه الخبيث عنها ودموعه تسيل على لحيته المشؤومة[3].

والحسين عليه السلام في كلّ ذلك مغمىً عليه، تحاماه الناس وكلّ من أقبل عليه انصرف عنه مخافة أن يلقى الله بدمه[4]، فتركوه قليلاً، ثمّ عادوا إليه.

ونادى شمر (لعنه الله): ويلكم ما تنتظرون بالرجل؟ فلم يجسر عليه أحد؟

---

(١) مقتل الحسين (ع) للخوارزمي ج ٢، ص ٣٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٥، ص ٥٤.

(٣) تاريخ الطبري ج ٤، ص ٣٤٥.

(٤) وخوفاً وفرقاً منه (ع) يقول السيّد حيدر الحلّي (طيّب الله ثراه):

عفيراً متى عاينته الكماة ... يختطف الرهب ألوانها

فما أجلت الحرب عن مثله ... صريعاً يجبّن شجعانها

فنزل هو إليه بنفسه[1] (وكان ما كان من انفاذ مسطور).

ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله

تمّت بعون الله

(١) فلمّا انتهى إلى الحسين (ع) رمقه ببصره وقال له: أتقتلني أوما تعلم من أنا؟!

فقال عدوّ الله والدين والإنسانية: أعرفك حقّ المعرفة، أُمّك فاطمة الزهراء، وأبوك عليّ المرتضى، وجدّك محمّد المصطفى، وخصمك العليّ الأعلى، وأقتلك ولا أُبالي. فضربه ـ شلّت يمينه ولحقتها شماله ـ اثنتي عشرة ضربة، ثمّ حزّ رأسه الشريف ودفعه إلى خوّلى ابن يزيد قائلاً: احمله إلى ابن سعد.

قتلوه بعد علم منهم — إنّه خامس أصحاب الكسا
يا رسول الله يا فاطمة — يا امير المؤمنين المرتضى
عظّم الله لك الأجر بمن — كض أحشاه الظما حتى قضى

وارتفعت كما في بحار الشيخ المجلسي ج٤٥، ص٧٥ في ذلك الوقت غبرة شديدة سوداء مظلمة فيها ريح حمراء لا ترى فيها عين ولا أثر، حتى ظنّ القوم أنّ العذاب قد جائهم، فلبثوا كذلك ساعة، ثمّ انجلت عنهم.

قال آية الله المغفور له الشيخ هادي كاشف الغطاء (عطّر الله تربته) في أُرجوزته المسمّاة بـ«المقبولة الحسينية»:

واغبرّت الآفاق والأرجاء — حزناً وهبّت زعزعٌ حمراء
حلّ بهم لولا ابنه العذاب — وفاجئ البسيطة انقلاب
ليت السماء أُطبقت على الثرى — ودكدكت شمّ الجبال والذرى
صبري غريب يا غريب الدار — والدمع جارٍ لابن حامي الجارِ


المحتويات



نبذة عن حياة المؤلّف